مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

طلاب الأزهر فى درس الكيمياء

(علم وعبادة)

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٥٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الرابع ـ القاهرة فى غرة ربيع الآخر ١٣٧٥ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

فتنة حول الأزهر

يا معبداً أفنى القرون جداره ... وطوى الليالى ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره ... وأضاء أبيض لجها والأحمرا
وأتى الزمان عليه يحمى سنة ... ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
عين من الفرقان فاض نميرها ... وحيا من الفصحى جرى وتحدرا
إن الذى جعل (العتيق) مثابة ... جعل (الكنانى) المبارك كوثرا
العلم فيه مناهلا ومجانبا ... يأتى لها النزاع يبغون القرى

سوفى

بلى ، إنها فتنة ، وصد عن سبيل الله ، والفتنة أكبر من القتل .

إنها فتنة ، وما كان أغنى صاحبها عن أن يتولى كبرها ، بعد أن أراد الناس أن يتناسوا من فتن الماضى مايود كل من له مثل ذلك الماضى أن يرى الناس قد أخذوا يتناسونه . . .

ولقد أخطأه التوفيق فى تخير الوقت الذى توخاه لإثارة هذه الفتنة ، فالناس اليوم فى

مكتبتنا العربية

شغل عن ذلك بما يستعدون له من تسليح أبنائهم ورجالهم ليدفعوا عن كيانهم ما يبيته لهم أبالسة الأرض من شر ومكر وكيد عظيم .

وأى مصلحة للملة والأمة والوطن فى أن تثار فتنة سخيفة كهذه الفتنة فى ظرف كالظرف الذى نحن فيه ، فيكون منها لأذهان الناس وقلوبهم صارف ـ ولو فى بعض الوقت ـ عما لا ينبغى لها أن تشتغل إلا به حتى فى أحلامها . فكيف وقد طلع بذلك عليها فى الساعات الأولى من يقظتها ، فأثلج بذلك قلوب الذين أسسوا له دار الكاتب المصرى وكل من يمت إليهم ويمتون إليه بسبب .

إنه يبكى ويستبكى على شبابنا الأزهريين ، زاعما أنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، فهلا عرض على الناس المناهج التى يتعلم بها هؤلاء الشباب الأزهريون ، وقارنها بما يتعلمه الناس ، ثم وضع لهم إصبعه على مواطن الضعف والخلف وقال لهم : هنا أيها الناس يكمن شذوذ الأزهر والتواؤه ، فتعالوا لتتعاونوا على معالجتهما وتقويمهما وإصلاحهما ؟ ! .

وأنا أعترف له بأن فى مناهج الأزهر ما تختلف به ـ من بعض النواحى ـ عن المناهج التى اقتبسناها لمدارسنا العامة من مناهج أوربا وأمريكا ، فاذا فرغت من ذلك سأقوده الى هذه المناهج الأزهرية ، وأدله ـ إن كان لم يدله أحد بعد ـ على ما تتفق به مع المناهج العامة من سائر النواحى .

وأحب ـ قبل المضى فى الحديث عن المناهج ـ أن أشير الى ما يتلهظ به الملتفون من حوله ، ويقولون انه يكتب فيه مقالا آخر يزعم فيه أنه انما أشار بهدم القسمين الابتدائى والثانوى من صرح الأزهر ، ولم يشر بهدم الأزهر ! ويريدون بذلك أن يقيموا الدليل على حسن نيته ، وأنه لم يرد بخطوته الثانية أن يحارب الله ورسوله ورسالة الإسلام . وهذا كله فى نظر المسلمين غش ومغالطة : فالابتدائى والثانوى من بنيان الأزهر فى موضع الأساس من صرحه الشامخ وكيانه الخالد ، وما بقاء الطابق الأعلى فى بنيان يهدم أساسه ويزال ! ؟

ان مناهج الأزهر قد اتسعت ـ فى الابتدائى ، والثانوى ، والكليات ـ للتعليم العصرى بجميع نواحيه ، لا مجاملة للناس ونزولا على أهواء أهل الأهواء ، بل لأن الأزهر يعتبر حقائق العلم الكونى والمدنى من وسائل التيسير للنظر فى ملكوت السماوات والأرض ، والتعاون مع المجتمع الإنسانى على ما فيه الخير والتقدم . وفيما عدا ذلك فان فى الابتدائى

مكتبتنا العربية

والثانوى من كيان الأزهر مواد لا توجد فى مناهج التعليم العام ، وفى طليعتها حفظ كتاب الله كاملا ، والإلمام بالفقه الإسلامى الماما تدريجيا ، والأنس بتفسير كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم قبل الانتقال الى الكليات ، لأن دخول هذه الكليات بلا حفظ لكتاب الله . وبلا إلمام بالعلوم الأولية الشرعية ، يجعل الأزهر كالأقسام الشرقية فى جامعات أوربا وأمريكا ، وهل هذا الا مهزلة ، ويعتبر تحقيقه هدما لا للأزهر وحده بل لرسالة الإسلام من أساسها ؟!

فالمناهج الأزهرية تمتاز عن المناهج الأجنبية التى اصطنعناها فى مدارسنا العامة باشتراط حفظ القرآن فى الأزهر ، واذا كان هذا هو موطن الضعف والخلف عنده فى مناهج الأزهر ومنه جاء الشذوذ والالتواء ، فاستحق الأزهر أن يهدم من أساسه بسبب هذا الاثم العظيم ، فلينزع البرقع عن وجهه وليناد على ملأ الأشهاد بأن اشتراط حفظ كتاب الله الحكيم فى المعاهد الأزهرية هو العقبة التى تقوم بين شبابنا الأزهريين وتعليمهم كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ! .

وللسيرة النبوية ـ منضما إليها سيرة كبار الصحابة وحماة الإسلام ـ حصة واحدة فى الأسبوع بالقسم الابتدائى فى الأزهر ، ثم لا يعود إليها الطالب الأزهرى بعد ذلك لا فى القسم الثانوى ولا فيما وراءه . فان كانت هذه الحصة الواحدة فى الأسبوع للسيرة النبوية هى التى يضيق بها صدر مثير هذه الفتنة ، لأن هذه المادة ليس لها حظ فى المدارس التى تقوم فى دنيا الناس ، فليعدل عن أساليب الإبهام والإيهام ، والجهل والتجهيل ، وليقل للناس : لقد كان خيرا من ذلك للأزهر أن يجعل هذه الحصة فى الأسبوع لسيرة جان جاك روسو وأمثاله .

ويبدأ الأزهر بتدريس تفسير كتاب الله من السنة الثالثة فى قسمه الثانوى ، وله أربع حصص فى الأسبوع ، وهو من قبيل الإعداد للكليات ، كالمتبع فى الإعداد التوجيهى بالمدارس العامة بين أدبى وعلمى والعناية بالمواد التى تعين على التخصص فى هذا أو ذاك . فاذا كان تدريس تفسير كتاب الله للشبان الأزهريين من السنة الثالثة الثانوية يعد فى نظر صاحب الخطوة الثانية مما يستحق أن يهدم أساس الأزهر من أجله لأنه مما يجافى دنيا الناس ـ ولا ندرى أى الناس ـ فليكن صريحا ، وليقترح الاستعاضة عنه بكتابه (فى الشعر الجاهلى) ، لينشأ الأزهرى فى الأزهر كما نشأ صاحب الخطوة الثانية فى باريس

مكتبتنا العربية

مؤمنا بأن « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم و إسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن ابراهيم الى مكة ، ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من (الحيلة) فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، و بين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » (ص ٢٦) . « وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه (الأسطورة) فى القرن السابع للمسيح » (ص ٢٧) .

وللحديث ـ متنا ومصطلحا ـ حصتان فى الأسبوع بالقسم الثانوى للأزهر ، والحديث المحمدى يعلم فى الأزهر خلافا لما يتعلم الناس عند صاحب الخطوة الثانية ، فهو غير داخل فى مناهج الدراسة العامة فى مدارسنا ، فضلا عن مدارس (الناس) من لا يبك وفرير وجزويت وروم أرثوذكس و إيطاليين و إنجليز وأمريكان و إسرائيليين . فان كان ذلك من مواطن الضعف والخلف ، ومن أسباب الشذوذ والالتواء فى خطة الدراسة الأزهرية ومناهجها ، و يستحق الأزهر أن يهدم أساسه لأجلها ، فليصدر لنا صاحب الخطوة الثانية (فتوى) بأن نحل محل حصتى الحديث المحمدى متنا ومصطلحا فى ثانويات الأزهر كتابا كحديث الأربعاء مثلا ، أليس ذلك حديثا وهذا حديث كذلك ؟ !

وللفقه خمس حصص فى الأسبوع فى كل من التعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر ، فهل من الحتم ـ ليساير الأزهر دنيا الناس ـ أن يعدل عن تدريس نظام الفقه الإسلامى فى ابتدائيات الأزهر وثانوياته الى تدريس نظام الأثينيين لأرسطو ، أو التشريع الرومانى لأركاريا س أو اللورد ماكنزى !

هذا كل ما يفارق به المنهج الأزهرى مناهج الغرب التى اصطنعناها فى مدارسنا العامة ولا شىء غير ذلك . فان كان الذى لا يصلح للبقاء فى ثانويات الأزهر وابتدائياته هو القرآن وتفسيره ، والحديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية ، والفقه الإسلامى ، فليصرح بذلك مؤلف (فى الشعر الجاهلى) تصريحا لا أحاجى فيه ولا ألغاز ، وليقل إن هذا هو الذى يضيق به قوم وصفهم فى مقدمة كتابه (على هامش السيرة) بأنهم يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك « يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث ـ أى التى فى سيرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ التى لا يسيغها العقل (عندهم وعنده) ولا يرضاها ، وهم يشكون و يلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ،

مكتبتنا العربية

وجده فى طلبها ، وحرصه على قراءتها ، والاستماع لها . وهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث ، و (استنقاذه) من سلطانها الخطر ، المفسد للعقول ! » . وقد اعتذر لهم هناك بأن العقل ليس كل شىء «وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمى ، فان فى قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة واستراحتهم إليها من جهد الحياة وأعبائها ، ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس حين تشق عليهم الحياة . وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ؛ ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على إنفاق الوقت ، واحتمال أثقال الحياة ، وتكاليف العيش » .

هذه هى نظرة صاحب الخطوة الثانية إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث ، ولعلها أهون من نظرته إلى التفسير والفقه . أما القرآن فقد علمنا رأيه فيه من كتابه (فى الشعر الجاهلى) ونقلنا ذلك بنصه آنفا عن الصحيفتين ٢٦ و ٢٧ . والذين قال عنهم فى مقدمة كتابه (على هامش السيرة) : إنهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الهداية ، هم — عنده — الذين يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا اليه . فهل هذه الدعوة إلى الخطوة الثانية يراد بها تحقيق شهوة الذين يجاهدون فى صرف الشعب عن أخبار السيرة المحمدية والحديث ، ويعملون على استنقاذه من سلطانهما الخطر المفسد للعقول ، كما جاء فى مقدمة على هامش السيرة ؟ ذلك ما يسأله الناس عنه ، ويحبون أن يسمعوا جوابه عليه .

ومن العجيب أن صاحب الخطوة الثانية لم يشفع للأزهر عنده أن منهج دراسته المقرر رسميا يشتمل حتى فى كلياته على تدريس علم الاجتماع وعلم النفس بأنواعه والفلسفة بمختلف ألوانها ، ويشتمل — فى قسميه الابتدائى والثانوى — على تدريس التاريخ ، ومنه تاريخ الفراعنة ، وعلى دراسة الجغرافيا والحساب والهندسة وتدبير الصحة والرسم والطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والمنطق والتربية الوطنية ، الى غير ذلك مما يتعلمه أبناء الناس فى مدارس الناس ، فان المبدأ الذى قرره فى كتابه عن الثقافة فى مصر يقضى علينا جميعا بأن نعتبر ثقافة الغرب كلا لا يتجزأ ، وأن نأخذ بها وبكل ما فيها من شر وخير ، كأننا أمة مفلسة ليس لها من مواريث الدين والأخلاق والثقافة ما يجب علينا أن نتمسك به ، بل يجب أن نمنع أطفالنا وشبابنا الذين سيكون منهم علماء الإسلام من أن يحفظوا

مكتبتنا العربية

كتاب الله فى الصغر ، ومن أن يتثقفوا بتفسيره وبحديث الرسول الأعظم وسيرته وفقه شريعته ، وبذلك يتحول الأزهر الى مثل القسم الشرقى فى جامعة بريستول وكامبريدج وباريس وليدن .

أما لو كان المراد بالخطوة الثانية أن يكون للأزهر نصيب من تدريس هذه العلوم الكونية والمدنية فان ذلك من تحصيل الحاصل ، لأن الأزهر قائم بذلك من عشرات السنين . فلم يبق إذن مما يفارق به الأزهر دنيا الناس إلا ما زاد على ما فى دنيا الناس وهو هذا القرآن وتفسيره ، والحديث ومصطلحه ، وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة وحماة الإسلام ، ثم هذا الفقه الإسلامى . فهل أثار الرجل عجاج هذه الفتنة لأجل الخلاص من هذه المواد ؟ إنه أبهم ولم يصرح ، والقراء لم يغوصوا على قلبه فيعلموا ما فيه ، فلم يبق إلا مقارنة المنهجين ، وبيان الفرق الجوهرى بينهما ، وهذا ما حاولت أن أضعه أمام أنظار أهل البصيرة والنظر بكل أمانة وتحقيق .

ولقد سمعت بعض الذين قرأوا مقالة (الخطوة الثانية) يقولون : إن الخطوة الأولى كانت تشمل أيضا المجالس الملية لغير المسلمين ، فهل صاحب الخطوة الثانية يريدها أن تشمل كذلك معاهد العلم الاكليركى لغير المسلمين من مختلف الطوائف ، وما أكثرها فى بلاد الجمهورية المصرية ؟ فان كان يريد ذلك فلماذا سكت عنه ولم يتعرض له بحرف واحد ؟ !

وسمعتهم يتساءلون عن هذه البذور التى زرعت فى تربتنا الجامعية منذ نحو ثلاثين سنة بمشهد من صاحب الخطوة الثانية كما يشهد له بذلك كتابه (فى الشعر الجاهلى) وأعمدة الصحف ومحاضر مجلس النواب وبعض قرارات النيابة ، إلى أن أنبتت تلك البذور رجالا صار منهم الآن مدرسون وأساتذة كالذى « كان يمزح مع طلابه على حساب إيمانهم فيقول لهم إنه (سيعطى) درجات إضافية فى الامتحان للذين يفطرون رمضان » ، وكالذى يعتبر الآن حجة الفلسفة الوجودية فى مصر ويقول ـ فى رسالة له صدرت فى القاهرة سنة ١٩٥٣ ـ : « إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك ، وإما أن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك . . . لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » . ويقول : « الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون ، إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب فى عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها ، فان معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها فى هذا الباب . اننا معاشر الوجوديين لا نريد أن نتساق فى أحلام البراءة ، والبكارة ، والطهارة . . . » . هذه هى الوجودية ، وهذا هو خطرها

مكتبتنا العربية

الذى وصفته جريدة الجمهورية بأنه « أصبح حرفة لبعض أساتذة الجامعات ، وقد خرج هؤلاء الأساتذة على معانى الأستاذية الجامعية ، الى فعال الدعاة والمبشرين ، فكل شاب تغويه هذه الفئة من الأساتذة وتغرر به وتدفعه فى طريق الانحلال هو خسارة محققة لمصر »

إن صاحب الخطوة الثانية يعمى عن رؤية هـذا الخطر على مصر ، لأن هواه يصرفه عن اعتبار أن الخطوة الثانية يجب أن تتجه نحو تطهير الجامعة من هـذا التيار العدوانى للقانون والأخلاق والواجب والطهارة والبراءة ، وحماية الجامعيين من هذا الوباء الجارف الذى يدعو الى الإثم ويهدد مستقبل مصر وكيانها ، فرأيناه يسكت عن ذلك لأنه كان من شهود زرعه وغرسه ، كما تسكت انجلترا وأمريكا عن آثام اسرائيل لأنها وليدتهما ، ويرفع عقيرته مناديا بالقضاء على ما يختلف به الأزهر فى مناهج تعليمه عن مناهج من يسميهم (الناس) فى مدارسهم . وليس بين مناهج الأزهر والمناهج الأخرى فرق إلا بتعليم القرآن وتفسيره ، والحـديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية ، والفقه الإسلامى . فالقرآن وهـذه العلوم المفسرة له والمستظلة بهدايته هى الخطر كل الخطر على مصر ، ويجب أن تـكون الخطوة الثانية متجهة نحو تحطيمها وإبادتها بتوحيد التعليم فى طور الصبا والشباب على حد تعبير هـذا الرجل ، أما الفضائح الجامعية حيث تبث الدعاية للاثم ، والـكراهة للقـانون والواجب ، والتسفيه للأخـلاق ، وذم الطهـارة والـبراءة ، وحيث يطرق آذان الطلبة الوعد بدرجات إضافية فى الامتحان اذا أفطروا رمضان ، وحيث تتحول معانى الأستاذية الجـامعية الى مثل فعال الدعاة والمبشرين لأغواء الشبان والتغرير بهم ودفعهم فى طريق الانحلال ، فكل هـذا مما يقف منه صاحب الخطوة الثانية موقف الجمود والصمم والبله والتجاهل . . .

أيها الرجل ، إن الأزهر مواصل تجديد شبابه فى كل ما يحفظ للاسلام حيويته ، وإن الأزهر هو حاجة مصر ـ الأولى والأخيرة ـ وموئلها فى سلمها وحربها ، وفى دنياها وآخرتها ، وإن الأزهر هو :

عين من الفرقان فاض نميرها وحيا من الفصحى جرى وتحدرا
العـلم فيه مناهلا ومجـانيا يأتى لهـا النزاع يبغون القرى
إن الذى جعل (العتيق) مثابة جعل (الـكتانى) المبارك كوثرا

وكما أن جدار الأزهر قد أفنى القرون فى قـديمه وهو لا يزال باقيا ، فان أساسه الراسخ ، وصرحه الشامخ فى جديده ، تتكسر عليه قرون ناطحيه وهو لا يزال يعلو . والله أكبر ، والحمد لله رب العـالمين ما

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٣٤ —

٢ - هداية الله . . . وفتنة الناس

(ا) « والله يريد أن يتوب عليكم »
(ب) « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

١ — حدثناك فيما سبق أن دعوة الخير من جانب الله . . وأن دعوة الشر من جانب الناس . . وذلك منطق الآية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وتكملة للحديث نذكر أن الشيطان زاحف على الناس بوساوسه التى تجرى من نفوسهم مجرى الدم من اللحم ، وأنه ناصب شراكه للايقاع بهم فى صحبة الأشرار ، وفى القدوة السيئة بالمنحرفين : فيما يبتدعون من غواية . . ولكثرة ما ذكر الله عن الشيطان وعداوته للانسان غاب عن بعض الأذهان أن فتنة الناس للناس من قبيل العداوة الشيطانية ، إذ أن للشيطان جنودا من الأنس يعملون عمله ، ويدعون بدعوته ، ويزينون للبسطاء والجهلة من الشر والباطل ما يدفع بهم إلى المهالك .

وهؤلاء هم دعاة السوء الذين يطيب لهم أن يتبعوا الضلالة ، وأن تتسع الهوة بهم ولمن يحاكيهم .

٢ — والقرآن لا يغفل الحديث عن أولئك . . بل كما أشاد بالقدوة الحسنة ، وضرب الأمثال بالأخيار والصالحين من عباده المهديين ، ووجهنا توجيها أكيدا إلى

مكتبتنا العربية

الأخذ عنهم والسير على منهجهم ، حدثنا كثيرا عن خطر الفاسدين المفسدين ، وعلمنا أن فى صحبتهم مهلكة وشؤما .

وقد بلغ من تنديد القرآن بدعاة السوء ، وتحذيرنا منهم ، أن سماهم شياطين الإنس ، وصب عليهم من السخط ما صبه على شياطين الجن ، لأنهم سواء فى الفتنة ، وأعوان فى الغواية .

وقديما كان الغواة يناوئون الرسل ، ويصدون الناس عن متابعتهم ، ويستهجنون دعوة الله ، ويزينون للناس كل باطل . وفى ذلك يقول سبحانه :

٣ — « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الإنس والجن . . يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

فهنا مساواة بين الشياطين والمفسدين من الناس ، بل ذكر الإنس قبل ذكر الجن فى عداوتهم للأنبياء ، وفيما ينهض به الشياطين والمفسدون من مناوأة للدعوة ، وترغيب الناس عن مطاوعة الرسل فيما يبلغونهم .

وللشياطين فيما بينهم تدبير للباطل ، وتآمر على الإفساد ، وللشياطين إيحاء للمفسدين ، ونزغات ووسوسة ، فمحاولات المفسدين وأعمالهم تنفيذ لوحى الشياطين ، وانزلاق فى غوايتهم ، فكلهم أعوان سوء ، وأبواق فتنة ، وخصوم لدعوة الله ، وهذه المساواة فى الشر جمعتهم تحت اسم الشياطين . وكذلك جمعتهم الآية مرة ثانية فى قوله تعالى عن الكفار :

٤ — « وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين » .

فهنا حديث عن المخالفين لدعوة الله ، وتنبيه على أنهم لما صرفوا أنفسهم عن جانب الله ولم يوجهوها إلى دعوته ، تركهم لغوايتهم ، وقيض لهم قرناء ، يعنى ساط عليهم شياطين يقترنون بهم ، وسلط عليهم أصحابا من دعاة السوء يجتذبونهم إلى الشهوات والمفاسد ، ويزينون لهم كل باطل من شئون الدنيا الحاضرة بين أيديهم ، ومن شئون الآخرة التى هى غائبة عنهم ، وليست مكشوفة لأعينهم ، كما يغيب عن أعينهم الشىء الواقع خلفهم ، وظلوا على غفلتهم حتى جرى عليهم ما جرى على أمم سابقة من الجن والإنس « إنهم كانوا خاسرين » .

مكتبتنا العربية

وهذا السياق يضع الشياطين والمفسدين فى حيز واحد ، ويقضى عليهم بحكم واحد، وجزاء واحد .

٥ — وجمعتهم الآيات مرة ثالثة فى قوله سبحانه : «قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس : الخناس : الذى يوسوس فى صدور الناس : من الجنة والناس» .

فالله — سبحانه — يأمر نبيه — صلى الله عليه وسلم — ويأمرنا بالتبع له أن نستعيذ به من شر الوسواس .

وما هو الوسواس؟؟ . . هو الخناس . هو الذى يوسوس فى صدور الناس : يعنى ينفث وساوسه فى صدورهم حتى تشرح للمعصية . وذلك الخناس الذى يفتنهم بوساوسه ونزغاته يكون من الجنة ويكون من الناس المفسدين .

وهذه مساواة بين الشياطين والمفسدين فى أن المرء يستعيذ منهم بالله رب الناس .

وهكذا تجد لدعاة السوء الذين يتبعون الشهوات ، ويدعون غيرهم لمتابعتهم ، ويريدون لهم الضلالة معهم — تجد لهم مذمة فى القرآن ، كما تجد للشيطان العدو المبين للانسان .

٦ — وهذه قضية تردد ذكرها فى آيات عدة ، حينما يتحدث القرآن عن المستكبرين من الطغاة ، وعن أتباعهم من الضعفاء ، يوم يعرضون على ربهم ، ويبصرون الحق الذى كانوا فى غفلة عن مطاوعته ، ويوم يستقبلون حسابهم وجزاءهم فيتنكر بعضهم لبعض ، ويحاول كل منهم أن يلقى التبعة على صاحبه ، ويعتذر عن نفسه . . حتى الشيطان نفسه ، وهو الذى تبجح أمام ربه ، وأقسم بعزته تعالى أن يغوى الناس أجمعين ، فأنه — فى ساعة المذلة — يتنصل ممن اتبعوه واغتروا بوسوسته ، ويقول لهم : « وما كان لى عليكم من سلطان ، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ، ولوموا أنفسكم » .

وبعد — فاستيعاب هذا المقام يحتاج إلى توسع . . وحسبنا تلك الإلمامة العاجلة التى تساعدنا على فهم قول الله تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

هذا — ولم يكن الحديث عن متابعة الغواة بعضهم لبعض قصصا لشىء سلف ، ولا حديثا عن السلف ، بل هو تجديد للعبرة ، وايقاظ للوعى ، وإشعار لنا بأن الإنسان

مكتبتنا العربية

ـ وإن ارتقت عقليته، واتسعت فكرته، وتحضرت معيشته ـ مغلوب لشهوته إن لم يقاومها، ومهزوم لشيطانه إن لم يجانبه، ومغرور بنفسه على ضعفه وقلة حيلته .

فمن لم يظفر بنصيب من التواضع، وحسب أنه بلغ من الشأن مبلغ القدوة المثلى، ومن العقل مبلغ التوجيه المطلق، وفرض نفسه أو يحاول فرضها على الناس ليملي عليهم كل ما يجيش بخاطره، ولو كان افتراء على الله، أو كذبا وبهتانا فيما يزعمه إصلاحا وغيرة ومعاونة لأولى الأمر على تدبير أمر الدولة، فأنما هو إنسان مفتون بنزعته، مخدوع فى نفسه، وخادع لسواه .

وأفحش الفحش أن تكون هذه نزعة إنسان مسلم، فضلا عن أن يكون إنسانا اتصل بالدراسة الدينية ردحا طويلا من زمنه، ثم قام يتجهم لتعاليم الإسلام، ويقف منها أخيرا موقف المناوئ لها، والزارى عليها، فى إلحاح وإسراف، وأن ينصب نفسه لخصومة دينية لم يقفها مبشر مخاصم للاسلام ! !

أليست هذه غواية يراد منها فتنة الناس عن دينهم، وصدهم عن استمداد ثقافتهم من الكتاب الكريم، وصرفهم الى ناحية أخرى لا تغنيهم فى الدين، ولا تجديهم أكثر من حياة عمالية كحياة الصناع والمحترفين الذين يعملون ليقتاتوا : لا ليكونوا أناسا من خيار الناس ؟ ؟

أليس الدعاة الى هذه الفكرة دعاة إلى فتنة وأتباع شهوات، يريدون أن يميل الناس معهم ميلا عظيما ؟ ؟

وأفحش الفحش ـ ثانيا ـ أن يصيح الصائحون بهذه المأثمة أنها استنهاض الى خير، وتعجيل للبر، ورغبة فى اصلاح، وهى ـ كما بدا ـ ضلالة تمكنت، وأحقاد تأصلت، وخصومة أزمنت، فكانت دعوة جهيرة، ومشأمة خطيرة .

وصاحبها رجل مسلم أزهرى فى أوله، ولكن لا أدرى ما هو فى آخره، وعلم ذلك عند الدكتور طه حسين !

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

الرحلة فى طلب العلم

الوفود فى العهد النبوى ـ مفتاح السعادتين ـ أعظم الجهاد ـ الأزهر : رسالته وأياديه ـ مصرهى الأزهر ـ « . . . والله متم نوره » .

عن أبى سليمان مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا ، فأخبرناه ـ وكان رقيقا (١) رحيما ـ فقال : ارجعوا الى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتمونى أصلى ؛ وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم . رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

هذه رحلة من الرحلات القديمة فى طلب العلم . . .

انتدب لها طائفة من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . . . وعلى رأسهم مالك ابن الحويرث رضى الله عنه . . . قدموا فى السنة التاسعة على خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وكان العرب من أنحاء الجزيرة فى السنتين : التاسعة والعاشرة يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا ؛ ليبايعوه على الإسلام و يتفقهوا فيه ؛ وكان صلوات الله عليه

---

(١) هكذا رواية البخارى بالقاف فى كتاب الأدب ، من الرقة ؛ و بالفاء فى كتاب . . . الفتن . وأما رواية مسلم فهى بالفاء فقط . وتقاربهما معنى كتقاربهما لفظا .

مكتبتنا العربية

كما وصفه ربه « بالمؤمنين رءوف رحيم » وكما قال : « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يكرم كل وفد عامة ، ويكرم كريمهم خاصة ، فيوليه عليهم ، ويوصيه بهم ، وكان يحسن استقبالهم جميعا ، ويسألهم عمن خلفوا من أولادهم وأهليهم ، ثم يشيعهم بأكرم وداع وأجمله ، كما استقبلهم بأحسن ترحيب وأحفله .

* * *

وامتدت مكرمته صلى الله عليه وسلم الى البعوث والوفود من بعده فأوصى بهم ، وأمر بأكرامهم ، ولا تزال تمتد وصاته ومكرمته ما اهتدت أمته بهديه ، واستمسكت بسنته ورشده ؛ لأنهم رسل من خلفهم ، وقادة من وراءهم ، ولأنهم ـ ما داموا مخلصين فى العلم وطلبه ـ وفد الله ورسوله ، ومرحبا ثم مرحبا بوفد الله ورسوله . . . روى الترمذى وابن ماجه عن أبى هرون العبدى قال : كنا نأتى أبا سعيد رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الناس لكم تبع ، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون فى الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا .

* * *

لبث وفد مالك رضى الله عنهم فى ضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين يوما وليلة ، يزودهم ويفقههم ويهديهم ، حتى طال عليهم المدى ، واشتهوا أهليهم واشتد الشوق إليهم ، وليست اقامتهم عشرين ليلة ـ ما عدا ليالى الظعن جيئة وأوبة ـ بالأمر الهين على معشر من الشباب يفيض قوة وفتوة . . . وما ان قرأ صلوات الله وسلامه عليه ذلك فى وجوههم ، حتى استنبأهم واستبان صدق فراسته فى شغفهم بالعودة .

هنالك أذن لهم بالسفر الى أهليهم ، ووصاهم وهو يودعهم بهذه الوصية الجامعة . . أمرهم فيما أمر أن يؤدوا زكاة علمهم كاملة ، فيعلموا أهليهم كما علمهم الله ورسوله ، ويأمروهم بالهدى والخير ، ويفقهوهم فى دين الله كما فقههم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده .

مكتبتنا العربية

واختص الصلاة ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بمزيد من الوصاة والعناية، فأمرهم أن يصلوا هم وقومهم كما رأوه يصلى ، خشوعا وقنوتا وقياما وقراءة ، وسمتا وأناة وضراعة . وليعلموا أن أحب الأعمال الى الله الصلاة لوقتها ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن لهم واحد منهم فى سفر أو حضر ، كبيرا كان أو صغيرا ، ما دام للآذان محسنا وللابلاغ مستطيعا . وليحافظوا على الجماعة ، لفضلها وعظيم ثوابها وجليل آثارها فى جمع قلوبهم وتأليفها وتعاونهم على البر والتقوى .

وليؤمهم فى الصلاة أكبرهم سنا .

* * *

وانما قدم السن هنا وملاك الإمامة هو الفضل فى الفقه والقراءة ، لأنهم استووا فى الإسلام والهجرة والصحبة ، والأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة الإقامة عنده ، فلم يبق من خصال الفضل الا قدم السن وان كانوا شببة متقاربين فيها .

قال صاحب الفتح : « ولما كانت نيتهم صادقة ـ يعنى فى طلب العلم وتعليمه ـ صادف شوقهم الى أهليهم الحظ الكامل فى الدين ، وهو أهلية التعليم ، كما قال الإمام أحمد فى الحرص على طلب الحديث : حظ وافق حظا » .

والسعادة كل السعادة فى الدين والدنيا أن يكون حظ العبد وفقا لمن لاينطق عن الهوى صلوات الله عليه وسلامه ، وأن يكون هواه تبعا لما جاء به .

* * *

ومفتاح هذه السعادة الشاملة الكاملة ، بل سبيلها الذى لا سبيل غيره ، هى المحافظة على صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر بها ، فانها قوام الدين وعماده ، من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، وهذا هو سر الاعتناء بها ، والتشديد فى طلبها « وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .

* * *

أما بعد ، فذا حديث من أحاديث الجماعة : الصحيحين وباقى الكتب الستة ، فى

مكتبتنا العربية

طلب العلم والرحلة إليه ، وهذه مجلة الأزهر المعمور ، أكبر جامعة إسلامية وأقدمها ، وأعظمها نشرا للعلم والدعوة إلى الله فى أرجاء المعمورة .

وإذا كان أكثر أحاديثها متصلا بالأزهر ولو من بعض نواحيه العامة ، فان هذا الحديث وثيق الصلة بالأزهر من أخص نواحيه وأعظمها شأنا وأجلها مكانا .

ذلك بأن الأزهر موئل العلوم الإسلامية الأول، ينفر إليه طلابها من كل فج فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . . وليس عليهم جناح أن يبتغوا فضلا من ربهم ، ويشهدوا منافع لهم فى هذه الرحلات الدائبة المتعاقبة ، كما كان يصنع وفد مالك بن الحويرث وغيره من الوفود فى العهد النبوى ، مشرق النور ومبعث الهدى والعلم . . .

* * *

والرحلة فى طلب العلم والفقه فى الدين شعبة من شعب الجهاد فى سبيل الله ، لا تقل شأنا عن قتال العدو لإعلاء كلمة الله وحمايتها ، بل إنها ـ مع صدق النية، وحسن الطوية ، والعمل بالعلم ، والدعوة الى الخير ـ لأجل قدرا ، وأرفع مكانا « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك ـ وقد أنزل الله تعالى فى شأن المتخلفين عنها من الآيات الشداد ما أنزل ـ كانوا ينتدبون جميعا الى الغزو ويتسابقون فيه حتى لا يكاد أحد منهم يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فاطمأنوا وأيقنوا أن التفقه فى دين الله ، ونشر دعوته، وإقامة حجته، وتعميم هدايته ـ وهذا هو الغرض كل الغرض منه ـ جهاد من أعظم الجهاد ، وتبينوا أن مداد العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء « وكلا وعد الله الحسنى » بيد أن العلماء ورثة الأنبياء ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

قال صاحب المنار فى تفسيره لهذه الآية : كنت أطلب العلم فى طرابلس . . وكان حاكمها الإدارى من أهل العلم والفقه ، فقال لى مرة : لماذا تستثنى الدولة العلماء

مكتبتنا العربية

وطلاب العلوم الدينية ، من خدمة العسكرية . . وهم أولى الناس بها ؟ ! يعرض بى . . فقلت له على البداهة : بل لهذا أصل فى نص القرآن الكريم ، وتلوت الآية . فاستكثر الجواب على مبتدئ مثلى لم يقرأ التفسير ، وأثنى ودعا .

* * *

أما بعد — مرة أخرى — فهذا هو الأزهر ، وتلك رسالته . . .

فاذا رأيت شرذمة من أشباه المسلمين أو أدعياء العلم والإصلاح يقومون فى وجه الأزهر : من عدو حاقد ، أو طريد حاسد ، أو ملحد كائد ، أو ابن جاحد لأبيه عاق ، أو كاتب مداده النفاق والشقاق ، فلا يهولنك أمره ، فما هو إلا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن رسالة الأزهر خالدة باقية ، ما بقيت مساجد الله الثلاثة فى البلاد المقدسة ، ثم ما بقيت أمة الإسلام قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

* * *

أما يد الأزهر على العالم الإسلامى عامة ، وعلى مصر خاصة ، فأنها يد مذكورة مشكورة ، وحسب مصر أنها لم تتبوأ زعامة الشرق — وما كان لها أن تتبوأها — إلا بالأزهر ، ولو لا الأزهر ما كانت مصر شيئا مذكورا .

ولو كان الأزهر فى مصر أيام الرشيد لما احتقرها وقال مقالته المأثورة حين قرأ قوله تعالى : حكاية عن فرعون : « أليس لى ملك مصر » الآية — لأولينها أخس عبيدى ، فولاها الخصيب ، وكان على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون ؟ ! والله لهى أقل عندى من أن أدخلها ! وثنى عنانه !

إن الشرذمة التى تكيد للأزهر لا تكيد لمصر وللعروبة خاصة ، بل تكيد للعالم الإسلامى كافة ، بل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ٤

طه الساكت

مكتبتنا العربية

الأزهر ... والاستعمار

قد يبدو هذا العنوان غريبا ، ولكنه غريب عند أولئك الذين ينظرون الى الأمور نظرة عابرة ، أما الذين يتعمقون الحقائق ، و يكتنهون بواطن الأمور ، فيرون أن هذا العنوان غير موف على الغاية ، وأنه لكى يعبر أدق تعبير ينبغى أن يكون مثلا : (الأزهر هو العدو الأصيل للاستعمار) أو (الأزهر قاهر الاستعمار) وما أشبه هذا من العناوين التى تعطى القارئ ـ بادئ ذى بدء ـ فكرة واضحة دقيقة عن الدور الخطير الذى قام به الأزهر فى محاربة الاستعمار ، وتشير الى السر الذى من أجله يعمل الاستعمار جاهدا على تقويض دعائم هذا المعهد العتيد !

والحق الذى لا سبيل الى الشك فيه أن الأزهر قام بأخطر دور فى تاريخ الاستعمار ، وكان ـ ولا يزال ـ المعقل الأول فى مصر ، بل فى الشرق كله ، للحركات الوطنية ، لا نعنى ـ فقط ـ أيام أن كان الجامعة الوحيدة فى الشرق ، بل وفى هذه الأيام التى انتشرت فيها المدارس وكثرت الجامعات .

وليس جهاد الأزهر ضد الاستعمار محصورا فى هذه البلاد : مصر ، بل إن جهاده ظهر فى كل بلد إسلامى سعد بعض أبنائه بالانتساب الى الأزهر ، ثم رجعوا الى قومهم يحملون نور المعرفة ، ويحملون العزة والكرامة ، فبثوا روح الكفاح فى بنى وطنهم ، و بصروهم بما يدبره الاستعمار من مكايد ، وما يضمره من نيات خبيثة ، لهدم الإسلام ، و إذلال المسلمين ، فكان لهؤلاء الرواد الأزهريين مكان الصدارة فى إيقاظ الروح الوطنية ، وكان لهم أثرهم الواضح والعميق فى نهضات بلادهم ، وتقدمها ، وخلاصها من نير الاستعمار .

والأزهر ظل ـ ولا يزال ـ يدرس الشريعة الإسلامية وعلومها ، دراسة لا يقاربه فيها معهد آخر ، وقد يكون من المكابرة انكار هذه الحقيقة . وأول مبادئ الإسلام الدعوة

مكتبتنا العربية

الى الحرية ، والتنفير من الذل والاستعباد ، والحث على مكافحة الظلم والطغيان ، ومن مبادئه الخالدة حث المسلمين على أن تكون لهم قوة ، وأن تكون لهم شوكة ومنعة حتى يستطيعوا أن يعيشوا أعزة كراما ، وقد تغلغلت هذه العقائد فى نفوس المسلمين ، وفى نفوس الأزهريين بصفة خاصة ، لطول دراستهم لها ، وكثرة تر ددها على أسماعهم ، وقد ظل رجال الأزهر فى تاريخهم الطويل يبشرون بدين ، وينشرون دعوته ، و يجادلون بالتى هى أحسن ، ويدعون الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى إذا جدت الأحداث تلقوها ، رحبة صدورهم ، باسمة ثغورهم ، وواجهوها بعزائم ماضية ، ونفوس قوية ، فانتصروا عليها . كان ذلك إبان كارثة الحملة الفرنسية ، وكان ذلك فى الثورة العرابية ، وكان ذلك فى ثورة سنة ١٩١٩ ، التى لا يزال كثير من الأحياء يذكرون جهاد الأزهر فيها ، وسيكون ذلك غدا كلما هتف الإسلام ببنيه : حى على الجهاد .

ولم يعد هناك شك فى أن المستعمرين يعملون جاهدين على محاربة الإسلام ، و يرون أنه أكبر عائق عن تحقيق مآربهم الاستعمارية الخبيثة ، وقد صرح بذلك كبار رجالهم ، ومن ذلك ما أعلنه اللورد النبرو ، وهو يتحدث عن موقف بريطانيا فى الهند ، قال : « لا يسعنى أن أغمض نظرى عن حقيقة لا شك فيها ، وهى أن العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا ، وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه الى تقريب الهندبين » و إذا كان مثل هذا القول يكشف خبايا نفوسهم ، ويعلن عن خبيث نياتهم ، فأن فى أعمالهم أكبر الأدلة على ما يضمرونه للاسلام من عداوة و بغضاء ، وما يخالجهم من شكوك ومخاوف من المسلمين ، حتى أن كثيرين منهم يعتبرون المعارك التى تدور رحاها بين المسلمين و بينهم امتدادا للحروب الصليبية ، و يعتقدون أن من مات فى هذه الحروب لا ينبغى أن يحزن عليه ، لأنه مات شهيدا فى قتال الإسلام ، وقد كان (غوردون) الانجليزى المشهور ، يعتبر رسالته فى الحياة تنصير جميع المسلمين .

أما أساليبهم فى محاربة الإسلام فقد ظهرت لكل ذى عينين . ومن هذه الأساليب المفضوحة تشجيعهم الجمعيات التبشيرية ، و إغداقهم المال على مدارس الارساليات ، و إزالة كل عقبة قد تعترض طريقها فى أداء مهمتها الدينية ، و يكفى أن أذكر هنا أن حكومة السودان الانجليزية قدرت ميزانية مدارس الارساليات فى سنة ١٩٤٩ م بمبلغ عشرة ومائتى ألف من الجنيهات ، فى حين لم تزد ميزانية المعهد العلمى الدينى بأم درمان عن واحد وعشرين ألفا .

مكتبتنا العربية

وفى كل بلد إسلامى دخله الاستعمار نجد الشواهد الكثيرة على محاربة الاستعمار للاسلام، ولا يمكن أن يقف أمام هذه السياسات المذكرة المدروسة إلا تثقيف دينى واع، ولا مصدر لهذه الثقافة المستنيرة إلا الأزهر الشريف، فكان طبيعيا أن يوجه المستعمرون أنظارهم اليه، وأن يحاولوا القضاء عليه، بكل الوسائل التى يستطيعون أن يتذرعوا بها فى هذه السبيل. ولم يكتفوا فى محاربتهم للأزهر والأزهريين، وإعلانهم أنه لا تتوطد أقدامهم فى هذه البلاد إلا بالقضاء على الأزهر، لم يكتفوا بما لهم من قوة وبطش وحيل ومكائد، حتى راحوا يوحون الى شياطينهم من أبناء البلاد الإسلامية: أن يعاونوهم فى القضاء على هذا الحصن الركين. فقد كان الأزهر هدفا لحملات عنيفة من المصريين الذين ينزعون ـ ذاكرين أو غافلين ـ عن قوس الاستعمار، وقد حرصوا على أن يصوروا الأزهر بصورة الشيخ الهرم الذى لم يعد لبقائه فائدة لنفسه، ولا للأمة التى يعلم أبناءها، بل اعتبروه عقبة فى سبيل تقدم مصر، وبالغوا فى ذلك وهزلوا، حتى قال واحد منهم — عفا الله عنه — : إن مصر لن تنهض حتى يقام المرقص فى صحن الأزهر، أو كلاما يشبه هذا الهراء. وهؤلاء المارقون أكبر خطرا على الإسلام من المبشرين، ذلك أن المسلمين تنبهوا للمبشرين، وأدركوا مقاصدهم وأهدافهم، وتحصنوا ضد دعواتهم، أما هؤلاء الذين يلبسون مسوح المصلحين، ويظهرون فى ثياب الحريصين على تقدم الأمة ونهوضها، فقد ينخدع بهم الأغرار، بل ربما انخدع بهرجهم كثير من الناس، وعقيدتى أن المستعمرين لا يفرحون بشىء فرحهم بهذه الحملات التى تشن على الأزهر من قادة الرأى فى البلاد الإسلامية.

وللذين يجول بخواطرهم أننا ربما كنا مبالغين فى نظرة الغربيين للجامعة الأزهرية أسوق هذه الكلمة: كتب الأستاذ (مينولف كوسترس) فى مجلة (داتش رندشو) السويسرية فى عام ١٩٣٨ م يقول: «انه من مائة وثلاثين مليونا من الإفريقيين أصبح سبعون مليونا تحت لواء النبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أصبح جميع شمال أفريقيا إسلاميا، وقد كان عدد المسلمين فى مستعمرة (داتش أوست أفريقيا) مائتين وخمسين ألفا قبل الحرب الماضية، فأصبحوا الآن ثلاثة ملايين، وتأثير الإسلام يمتد حتى جنوب أفريقيا، والسبب فى ذلك أن الجامعة الأزهرية بالقاهرة — وهى مركز الدعوة الى الإسلام — ترسل مندوبين غيورين الى جميع الأقطار الأفريقية، وتصدر جرائد كثيرة فى البلدان الكبيرة،

مكتبتنا العربية

وترسل إلى تلك البقاع حاملة رسالة الكفاح ضد المسيحية والثقافة النصرانية الى وسط تلك القارة الكبيرة » .

ويعمل المستعمرون جاهدين على أن يحولوا بين أبناء البلاد المستعمرة والالتحاق بالأزهر ، وقد يكون من الشاق جدا على حكومات تلك البلاد أن يهاجر منها شخص ـ سيما إذا كان ذا مكانة فى بلده ـ إلى الأزهر ، وإنى أقول ذلك عن خبرة ، فأن لى صديقا من السنغال ، وقد تأكد عندى أنه من الشخصيات البارزة هناك ، عرفت من خبره أنه حين أراد الحضور إلى مصر خرج من بلده موهما أنه يريد الحج ، وقد لقى متاعب ومشاق فى طريقه لا يتحملها إلا المخلصون ، وهو الآن فى إحدى كليات الأزهر ، وقد منعت حكومة الاستعمار الاتصال بينه وبين أهله ، وبذلك منعت عنه كل مساعدة كان يمكن أن تأتيه من هناك ، ثم خطت خطوة أخرى فأرادت أن تحتضنه ، ولكنه أبى ، ودست إليه من رغب له الرجوع ، فأبى أيضا .

وقد كنا فى السودان يوم هاجر أول فوج من طلاب المعهد العلمى بأم درمان إلى الأزهر ، وشهدنا مدى القلق الذى شاع فى نفوس المستعمرين وأذنابهم من أبناء البلاد ، كما شهدنا المحاولات والاقتراحات التى كانت تدرس للتغلب على هذه الكارثة ! ! ـ كما سماها بعضهم ـ .

أما دور الأزهر فى محاربة الاستعمار فهو أمر ليس بالمجهول ولا المنكر ، والذين اطلعوا على مبادئ فى التاريخ القومى يعرفون المآسى التى تعرض لها الأزهر والأزهريون فى سبيل الدفاع عن حوزة البلاد ، ومكافحة أعدائها ، ومع ذلك ما وهنوا وما استكانوا . ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نفصل ، فنكتفى بالإيجاز الدال ، ويكفينا فى هذه الغاية أن ننقل الفقرات الموجزة المعبرة من بعض خطب الرئيس جمال عبد الناصر ، حيث يقول :

« وفى هذه المناسبة لا يسعنى إلا أن أذكر لهذا الأزهر جهاده على مر السنين ، فقد

مكتبتنا العربية

حمل الأزهر دائما الرسالة ، ولم يتخل مطلقا عن الأمانة ، وكافح كفاحا مريرا فى سبيل الحصول على أهداف الوطن . وكفاح الأزهر أيام الحملة الفرنسية معروف ، وكم قاسى رجاله ، وعذبوا وقتلوا وشردوا . واقتحم المحتلون الأزهر، فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن ، واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها الى الجيش ، والى عرابى الذى قام متسلحا بروح الأزهر المعنوية الى جانب القوات المادية، يطالب بحقوق البلاد، وعندما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الأزهر ، كما حاولوا القضاء على الجيش وقوته ورسالته . ورغم هذا ، استمر الأزهر على مر السنين يكافح ، ففى ثورة سنه ١٩١٩ حمل الأزهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى ، وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعا وأحزابا ، وتحطيم الجيش وفصله وفصل الأزهر عن الوطن .

واليوم — وبعد أن قامت الثورة أقول لكم : عليكم حمل الرسالة والأمانة مرة أخرى ، فأن أمامنا عملا شاقا طويلا ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الكبرى التى كافح من أجلها السابقون ، ورجال الأزهر على طول السنين » .

وفى هذه الفقرات الأخيرة القوية ، من قائد الثورة ، رد مفحم على من يتوهمون أن دور الأزهر قد انتهى ، فأن أمامنا — كما يقول الرئيس — عملا شاقا طويلا ، وهو يتطلب الجهاد من أجل أهداف الوطن، والروح الأزهرية هى التى تعين على هذا الجهاد. ولا يدور بخلد أحد أنه مادام ظل الاستعمار بدأ يتقلص ، ووطأته بدأت تخف، فلا ضرورة للروح الأزهرية ، فأن هؤلاء يفوتهم أن العدو اذا ضعف فى ناحية يكون أشد عداوة فى النواحى الأخرى . فأذا كان الاستعمار منى بالاخفاق فى الناحية السياسية، فأن ذلك يجعله يضاعف نشاطه لتحطيم مقومات الأمم الأسلامية : المقومات الدينية والخلقية والاجتماعية ، وكل ذلك يحتاج الى جهاد عنيف من الأزهر .

وسيقوم الأزهر — كعهدنا به — بحمل الرسالة، وأداء الأمانة ، وسيظل شجى فى حلوق المستعمرين، ومن ينسج على منوالهم ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز

على العمارى

مكتبتنا العربية

بين الماضى والحاضر :

الأزهر والمجتمع

من نافلة القول أن نشيد بمكانة الأزهر وجهوده فى سبيل الإسلام والعروبة قديما وحديثا ، فالقول فى ذلك مستفيض من قبل ومن بعد . ولقد وقف شوقى العظيم فى فم الدنيا ومجد الأزهر وحياه ، ونثر على سمع الزمان جوهره وحلاه ، وخشع مليا أمام جلاله ، وقضى حق الأئمة من رجاله الذين « طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا » .

وشوقى — فى تمجيده — محايد ليس بأزهرى ، حتى يقال إنه يمدح نفسه ، بل هو القائل يخاطب الأزهر المعمور :

ما ضرنى أن ليس أفقك مطلعى ... وعلى كواكبه تعلمت السرى !

والعجب ما شاء العجب لأناس كان للأزهر الشريف عليهم فضل أى فضل ، ومع ذلك هم يسلقونه بألسنة حداد ، ويحملون عليه حملة الأضداد ، بينما يتغنى بمجد الأزهر من لم يكن من أبنائه ! ! . .

ورحم الله أمير الشعراء يوم أجاد تصوير فضل الأزهر فى عهود الظلمات ، فقال :

ظلمات لا ترى فى جنحها ... غير هذا الأزهر السمح شهابا
زيدت الأخلاق فيه حائطا ... فاحتمى فيه رواقا وقبابا
وترى الأعزال [١] من أشياخه ... صيروه بسلاح الحق غابا
قسما لولاه لم يبق بها ... رجل يقرأ ، أو يدرى الكتابا

---

(١) الأعزال : الذين لا سلاح لهم .

مكتبتنا العربية

حفظ الدين مليا ، ومضى ينقذ الدنيا فلم يملك [١] ذهابا

وجهات الحديث عن الأزهر كثيرة متعددة، كل منها تستهوى اللب، وتستثير الخاطر، فمن القصد أن نكتفى هنا بالحديث عن الأزهر ومدى صلته بالمجتمع . . .

* * *

إن الأزهر يأخذ أبناءه من صميم الشعب ، ومن وسط الطبقة الكادحة المجاهدة التى تمثل شعب مصر أصدق تمثيل ؛ فمن جوف الريف ، ومن أعماق القرى والدساكر والكفور ، يفزع إلى رحاب الأزهر ألوف بعد ألوف من الفتيان والشبان ، ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، وليتالوا قسطهم الوفير من الثقافتين الإسلامية والعربية ، وفى هذا الجمع الكبير تتبدى جوانب كثيرة من خصائص المجتمع ، وتتفاعل هذه الجوانب مع ما يتلقاه الطالب فى الأزهر من مسائل العلم والثقافة .

وتظل هذه الجموع ترتشف رحيق الفقه والعلم من مناهل المسجد الكنانى الخالد [٢] وهى تتردد بين معاهده وقراها ؛ فرحلة الشتاء من مساقط رءوسهم إليه ، ورحلة الصيف منه الى رحاب أسرهم وعائلاتهم ؛ فيزيد هذا التردد المتكرر المتتابع فى التقريب بين الثقافة الأزهرية والبيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها هؤلاء الطلاب .

ويتخرج الطلاب فى الأزهر ويصيرون علماء، فلا تنقطع صلاتهم بالمجتمع ولا تضعف، بل لعلها تقوى وتشتد ، فأذا هم بحق أعصاب البلاد والقرى فى ناحية الدين ، وناحية الأخلاق ، وناحية التأثير الروحى ، وإذا هم الذين يهزون القرى من كهفها لرقيمها ؛ فأمام المسجد يؤم قومه فى الصلاة ، ويخطبهم فى الصلاة الجامعة وهى صلاة الجمعة ، ويوجههم عن طريق دروسه الدينية اليومية بين العصر والمغرب ، أو بين المغرب والعشاء ، ويفتيهم فى مشكلاتهم الخاصة والعامة ، ويحتل بينهم مكانة روحية مرموقة يستطيع عن طريقها

---

(١) لم يملك ذهابا : أى لم يستطع .

(٢) من قول شوقى فى الأزهر :

إن الذى جعل العتيق مثابة جعل الكنانى المبارك كوثرا

ويقصد بالعتيق المسجد الحرام ، والمثابة هى مجتمع الزمر .

مكتبتنا العربية

وبحسن استخدامها وبالإخلاص فيها أن يوجههم الوجهة التى يؤمن بها ويعمل من أجلها . . .

والواعظ الأزهرى ينزل القرية أو البلدة ، فتهوى إليه أفئدة الجموع ، وتميل إليه أسماع الجمهور ، وتتأثر به عواطفهم ومشاعرهم ، وفى خلال ساعات معدودة يستطيع هذا الواعظ أن يوجد وعيا ، وأن يوقظ من غفوة ، وأن يشغل العقول والقلوب بمسائل الدين وأمور الأخلاق . . .

والمدرس الأزهرى الذى يلقن التلاميذ والطلاب دروس الدين واللغة والأدب فى المدارس والمعاهد ، يستطيل تأثيره الى مدى بعيد ، حيث يتمكن عن طريق القرآن والسنة واللغة والأدب ودروس المطالعة والمحادثة والإنشاء وغيرها أن ينفذ الى أفئدة الطلاب والتلاميذ ، فيهز أوتارها ، ويأخذ بمجامعها الى حيث يشاء .

وقل مثل هذا عن العالم الأزهرى الذى يحتل وظيفة أخرى من وظائف الدولة ، أو يباشر عملا آخر من أعمال المجتمع ، سواء أكان هذا العمل مهنيا أم صحفيا أم اجتماعيا . . . ستجد التأثير هو التأثير ، وستجد النفوذ الى باطن المجتمع هو النفوذ .

وتعليل ذلك سهل ميسور ، لعله استبان مما قدمناه من حديث ، فالأزهرى ابن بيئته أولا ، وهو الذى يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ثانيا ، وهو الذى يدوم على صلته بهذا الشعب ثالثا ، وهو الذى يتحدث الى الجمهور عن ناحيتين فعالتين مؤثرتين أعظم التأثير ، وهما : الإسلام والعروبة ، والإسلام هو الدين والعقيدة واليقين ، والعروبة هى مواريث الفخار والاعتزاز من تاريخ وسير أجداد ، ومن أدب جذاب جميل ، ومن تراث ثقافى يتطلع إليه كل من أراد أن يكون شيئا مذكورا فى هذه الحياة ، فكيف لا تتوثق صلة الأزهرى بالمجتمع مع وجود هذه الأسباب ؟! .

* * *

ولو اعتدلت السبل ، واستقامت الأوضاع ، خلال القرون المتتابعة ، لرأينا أبناء الأزهر فى كل جيل يتغلغلون فى أوساط الشعب ، وينفذون الى دخائل المجتمع ، ويعودون على أمتهم ولغتهم وملتهم من ذلك التغلغل والنفاذ بأينع الثمرات وأعظم الخيرات ، ولكن

مكتبتنا العربية

أفاعى الاحتلال والإلحاد والتبشير والتحلل نفثت سمومها ونشرت بلاءها ، وحرصت على أن تعزل الأزهر جانبا ، وأن تقطع الأسباب والروابط بينه وبين المجتمع ، وأن تحصره فى أضيق دائرة وأصغر نطاق ، ، وأن تباعد بينه وبين ركب الحياة حتى يتخلف وتضيع عليه المشاركة الاجتماعية والأدبية والفنية والقومية مع الحياة والأحياء .

وأتى على الأزهر الشريف حين من الدهر كان يقال عنه إنه « متحف » للدراسات الأثرية فى الميدانين العربى والإسلامى [١] وخيل لأعداء الإسلام والعرب ومصر والأزهر أن الكيد الذى كادوه بليل اللؤم والتضليل قد بلغ غايته وحقق رسالته ؛ ولكن العملاق الذى أريد له أن ينام نومة أهل الكهف أو أطول منها ، أحس بسم الأفاعى ، فهب من رقدته ، وأخذ يستقيم على طريقته ، وألح فى طرق الأبواب الموصدة فى وجهه ، ليدخل على المجتمع مؤثرا ومتأثرا ، ومعطيا وآخذا ، ومتجاوبا مع الحياة والأحياء . . .

ولقد جاء على الأزهرى أحيان وأحيان — ولعل ذيولها لا تزال ! — كان الناس يعتقدون فيه من أول أمره أنه غير صالح لحياة المجتمع الآخذة المعطية ، المؤثرة المتأثرة ، حتى يقيم الأزهرى عشرات الأدلة على أنه صالح لذلك ، وصالح له أكثر من صلاحية سواه له ، فيقر له المجتمع ويعترف راغما أو شبه الراغم ، بينما غير الأزهرى يفوز بحسن الظن من الناس حتى يقيم عشرات الأدلة على أنه غير أهل لذلك الظن الجميل ؛ ومعنى هذا أن الأزهرى الى عهد غير بعيد كان يعيش بين قومه غريبا منكورا مساء فيه الظن ، حتى يستطيع بجهده وجهاده أن يقتلع تلك الفكرة الخاطئة عنه من الأعماق ، وإنما كانت هذه الفكرة السيئة نبتا لذلك الكيد اللئيم من أفاعى الاحتلال والإلحاد .

ومعنى هذا أيضا أن الأزهرى كان يحال بينه وبين أكثر الميادين الاجتماعية ، وبذلك لم يكن هناك مجال يظهر فيه جهده أو طاقته ، ولكنه جاهد وناضل حتى حطم من الحواجز الكثير ، وحتى وصل الى الكثير ، ونحن لا نتنكر للحق حين نقرر هذا الأمر ، بل نتذكر أن هذه الفترة الطويلة التى قضاها الأزهر معزولا محروما محالا بينه وبين المجتمع قد عادت

(١) ولا يزال بعض الأغرار يقول مثل هذا على الرغم مما دخل الأزهر من علوم حديثة ، ومواد اجتماعية ، وفنون مختلفة .

مكتبتنا العربية

عليه بكثير من العلل والآفات والعوارض المؤسفة ، ونحن نعتقد فى الوقت نفسه أنه لو لم يكن هذا الكيد الدائم ضد الأزهر لسلم من هذه الأمراض .

* * *

ولأضرب مثالا على مدى الحرمان الذى كان يصطليه الأزهر ، وبذلك كان لا يظهر تأثيره فى المجتمع كما يجب أن يظهر ، فمنذ خمسة عشر عاما تقريبا كانت وزارة المعارف « التربية والتعليم الآن » لا تأخذ من خريجى الأزهر للتدريس فى مدارسها إلا « الأول » فقط من كلية اللغة العربية [١] ، وسارت الأيام ، وطالب الأزهريون بحقوقهم ، وفتحت الأبواب ، ووصل الأمر الى حد استقصاء المتخرجين الأزهريين فى مدارس الحكومة ، وإذا هؤلاء المتخرجون يقومون بواجبهم خير قيام : فى المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد المختلفة ، وإذا الأعمال والتقارير والشواهد والنتائج تنطق بجهودهم وكفايتهم وامتيازهم ؛ ولا يزالون فى الطريق يسيرون ، وحين يمر عليهم من الوقت ما مر على سواهم ، وحين تتهيأ الفرص لهم كما تتهيأ لسواهم ، سنرى منهم بأذن الله ماهو أعظم وما هو أجمل .

وهناك ميادين اجتماعية فتحت أمام الأزهريين فولجوها وقاموا بدورهم فيها ، ففى الجمعيات الدينية والثقافية والقومية والاجتماعية نرى العشرات من الدعاة الأزهريين الذين يخطبون ويوجهون ويرشدون ، وفى ميدان التوجيه الدينى والاجتماعى نرى أمثال الأساتذة : عبد اللطيف السبكى ، ومحمود شلتوت ، ومحمد الغزالى ، ومحمود خليفة ، وسيد سابق ، ومحمود على أحمد ، وطه الساكت ، وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان التأليف والكتابة والنشر ـ وهو ميدان وثيق الصلة بالمجتمع أيضا ـ نرى أمثال الأساتذة : محمد النجار ومحمد ماضى ومحمد الطنطاوى ومنصور رجب والسيد صقر ونور الدين شريبة وفتح الله بدران ورجب البيومى وعلى العمارى ومحمد البهى وعبد المنعم خفاجى ومحمد عرفة ومحمد يوسف موسى وعبد المنعم النمر وكامل شاهين ومحمد سعاد جلال وكامل الفقى ومحمد أبو شهبة وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان الصحافة نرى أمثال الأساتذة : فهمى عبد اللطيف وأحمد البهى

---

(١) ولم تسمح الوزارة فى بدء القضية بأخذ هذ الأول إلا بعد جهود ! ! .

مكتبتنا العربية

وعبد الرحيم فودة وعبد المجيد وافى وزكريا نيل وكامل عجلان ومحمود الكولى ومحمود عبد العزيز حسين وعلى الغرابى ، وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان الشعر نرى أمثال الأساتذة : محمد الأسمر وأحمد شفيع وابراهيم نجا وحسن جاد وعبد العليم عيسى وكيلانى سند وعبد الحميد ربيع ، وغيرهم وغيرهم .

وأنا لا أستقصى هنا ولا أتتبع ، وإنما أسطر الأسماء التى تسعفنى بها الذاكرة فى سرعة وعجلة ، وهناك عشرات وعشرات من المؤثرين فى المجتمع من رجال الأزهر وأبنائه لا يقلون فضلا أو أثرا عمن ذكرنا ، وفيمن ذكرنا أفراد يحسنون العمل فى أكثر من ميدان ، ولكننا كما قلنا قد سردنا بعض الأسماء بلا ترتيب أو تنسيق ، لتدل القطرات على ماء البحر الغزير ، ومن الواجب أن يتهيأ مجال لذلك الاستقصاء حتى لا نجحف بحق من تخوننا الذاكرة فى تذكره .

ويستطيع المطالع لكتاب « الأزهر فى ألف عام » للأستاذ خفاجى أن يزداد علما بهذا الموضوع ، كما يشتغل الأستاذ أبو الوفا المراغى الآن بإخراج كتاب يترجم فيه لكل أزهرى أسهم فى حركة التأليف ، ولا شك أنه سيضم المئات بعد المئات من الأسماء ! ! .

* * *

الذى نستطيع أن نقرره فى ثقة وتأكيد أن الأزهر المعمور هو القوام الأول على تراث الإسلام والعروبة . وأن أبناءه أكثر الناس اتصالا بالمجتمع ، وأوضحهم تمثيلا لخصائصه ، وأبعدهم تأثيرا فيه ، وأنهم إذا هيئت لهم السبل سارو ا وجاهدوا وأفلحوا ، وأن مكايد كثيرة أرادت للأزهر العزلة أو الوأد ، ولكنه استعصى عليها وهزئ بها ، واستمر على الطريق يناضل ويجاهد ، وأن الأزهر إذا تخلص من أعراض التخلف ، وأمراض العزلة ، وشوائب التقاعس ، استطاع أن يفعل الكثير المجيد . .

وقد كان من المستطاع أن نتحدث عن الأزهر والمجتمعين العربى والإسلامى بعد حديثنا عن الأزهر والمجتمع المصرى ، ولكن هذا حديث يجب أن ينفرد بمجال ومقال . . . ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

رسالة الأزهر باقية
والأزهر باق على وجه الزمن

لست أدرى ولا المنجم يدرى كيف وقف من الأزهر وتعاليمه وتاريخه الناصع رجل كان منه بالأمس ، ولبث فيه أكثر من خمسة عشر عاما ، يحضر على أجلاء الشيوخ فيه ، وينهل العلوم من معينها ، حتى رحل منه الى جهة أخرى بعد أن التوى فيه عليه مقصده ، واستعصى عليه غرضه .

كتب ذلك الرجل بالأمس فى إحدى الصحف الصباحية كلاما ينعى فيه على حكومة الثورة جمودها عن اتخاذ إحدى الوسائل للقضاء على الأزهر ، ويكتب — فيما كتب — أن حكومة الثورة قد انتهت من الخطوة الأولى ، وليس عليها إلا خطوة ثانية ، وهى ضم الأزهر بتعاليمه العتيدة وتقاليده الدينية الراسخة وتبرزه وانقطاع نظيره فى الإلمام إلماما مقنعا بأساليب اللغة العربية وأفانين البلاغة وعلوم القرآن والسنة وعلوم الوضع وما إلى ذلك ونظائره وتفاريعه مما يربو على ثلاثين علما الى وزارة التربية والتعليم .

ما هذا الهراء والافتراء فى قضية تعاقبت البحوث المستفيضة من خصوم الأزهر والواجدين عليه والموتورين فيه على ابتداع طريقة ينفذون منها الى شفاء صدورهم . لقد تعاقبت خصوم منذ نصف قرن من الزمن ، وتنادوا بهذه الفكرة المضللة ، وكان مذهبهم فى زعمهم هو الاحتلال وأنصار الاحتلال باسم الاصلاح المنشود . قال بعض الحانقين — وهم خلقاء بالتحسر والرثاء — : « لا بد من إصلاح الأزهر حتى يساير الجامعات فى أوربا وحتى تعم رسالته سكان هذه الرقعة السوداء » فأية مسايرة تلك التى يريدها أولئك الواجدون عليه والموتورون فيه ، أيريدون أن يخرج الأزهر — وقد سلخ عشرة قرون من الزمن — عن نظامه الدينى يعلم الناس فلسفة اللغة العربية ، وفلسفة فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم ومن اهتدوا بهديه وانتهاج طرائقه الى يوم يبعثون . ثم ما هى الطريقة العملية لضم الأزهر الى وزارة التربية والتعليم ، قولوا لنا ما هى الطريقة المثلى فى تحقيق عملية الضم ، أيريد الكاتب — وليس له فى الدنيا نصير إلا فئة من الموتورين الحانقين على

مكتبتنا العربية

بقاء الأزهر يؤدى رسالته ، وينشر بين الناس أمانته ـ ضم الأزهر بعلومه وتقاليده ومظهره الدينى بقسميه الابتدائى والثانوى وبكلياته الثلاث الى وزارة التربية والتعليم .

ومناهج الدراسة فيها تختلف أبلغ الاختلاف عن مناهج الدراسة فى الأزهر ، فللا زهر علومه الدينية والعربية والعقلية مما يستحيل معه مسايرة أنظمة وزارة التربية لها وتلاقيها معها على صعيد واحد وفى أمل واحد .

يمينا غير حانث فيه لو أن المصلحين فى الأرض اجتمعوا على قلب رجل واحد ، وهموا بضم الأزهر إلى وزارة التربية ، لتغير الوضع فى تعاليم الوزارة ، وبقى الأزهر طودا راسخا وحصنا أشم لا تنال منه الأيام ، ولا تعبث به العقول والأفهام .

* * *

ياقومنا ، ثقوا بأن الأزهر باق على الزمن ، لا تعبث به يد الأهواء ، ولا تنال منه نزوات الأدعياء ، ثقوا بأن هذا الأزهر قد انفرد ـ ولله الحمد ـ بحماية العقائد من الزيغ ومن المبادئ الهدامة التى انتشرت فى الجامعات ، وكان لحكومة الثورة فضل السبق فى مناهضتها . لقد اتهم مئات من الطلاب فى غير الأزهر بالجموح إلى المبادئ الهدامة ، بل اتهم بعض الأساتذة باعتناق هذه المبادئ ولا يزالون رهن السجون . لكن هل اتهم أزهرى واحد بأنه يدعو إلى تلك المبادئ الهدامة ؟ بل على النقيض من ذلك أفتى شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر ـ وقد ثقف ثقافة أوربية نادرة أعلى من الثقافة التى نهل منها الكاتب المناهض للأزهر ـ بضرورة محاربة المبادئ الهدامة ، وليس هناك وسيلة لمناهضتها واستئصال شأفتها سوى تفهم المبادئ الدينية والوقوف على أسرارها ، وهذا لا وجود إلا فى حصن الدين المكين وحرزه المتين ومنارته الواضحة ومحجته اللائحة وهو «الأزهر»

* * *

وهل عزب عن الكاتب الذى وقف بالأمس مناهضا الأزهر أن الأمم العربية والأمم الإسلامية فى القارة الآسيوية تطوى أضالعها على محبة واحترام لتلك الجامعة الإسلامية المنقطعة المثيل فى عالم الأديان ، فأن كان فى شك من ذلك فليخط إلى الوراء قليلا ليسمع بأذنيه ما قاله الدكتور أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا يوم كان ضيفا على مصر ، وكيف أشاد إشادة بالغة المدى بالزعماء الدينيين فى الأزهر أمثال محمد عبده والسيد عمر مكرم والأفغانى ومن اليهم من زعماء المسلمين فى مصر .

وهل عزب عنه كذلك أن كل أمة ترى أن لها الحق المطلق فى الاستمساك بمظاهر

مكتبتنا العربية

دينها وشعائرها الدينية فيها ، حتى لقد عز على دول تحيط بها النصرانية من كل مكان أن تطمس معالم دينها ، فأبت عليها تقاليدها العتيدة إلا أن تبقى على منصب الإفتاء فيها ، وبها أقلية من المسلمين، تقديرا لمشاعر تلك الأقلية : كبولندا، وكذلك الحال فى جمهوريتى أزبكستان وقزاقستان ، وهما جمهوريتان إسلاميتان عرشا وفرشا يندمجان ضمن النظام الفدرالى السوفيتى .

وهل عزب عنه أيضا أن ألمانيا النازية حين وطئت بحافل جيشها أرض يوغوسلافيا لم يقض مضاجعها ولم يعل من صبرها وثباتها إلا قلة من المسلمين فى ولايات ثلاث هى البوسنة والهرسك والصرب ، فطمس معالم دينها، وهدم معابدها ومساجدها، وأطاح بمقدساتها ، وذبح أبناءها واستحيى نساءها ، ثم أطلق يده فى الجامعات الإسلامية فأحالها ركاما ، وفى المدارس الإسلامية الصغيرة بجعلها حطاما ـ وما كان أسرع أن قام المسلمون يعتزون بدينهم ، فوقفوا وقفة رجل واحد، وصمدوا لهذا العدوان السافر ، ثم انجلت تلك المعركة الدينية عن اندحار النازية وبقاء الأقليات الإسلامية فى تلك الولايات الثلاث، تؤدى رسالتها على أتم وجه وأكمله ، وظلت مقدساتها فى الخالدين .

* * *

لقد كان رئيس الحكومة المصرية ينظر إليه بميزان التقدير البالغ من زعماء المسلمين يوم كان فى باندونج ، وكيف أن زعماء الطوائف الإسلامية فى الصين الشعبية رجوه ـ فى ضراعة ـ أن يرسل وفدا على رأسه شيخ من شيوخ الأزهر والناهلين من سلسبيل مائه . وليته استمع إلى هذا الشيخ بعد أوبته إلى مصر كيف مثل الأزهر فى الصين والبلاد الآسيوية الإسلامية الأخرى ، وكيف كان للأزهر مقام لا يدانيه مقام ، وليسمع بعد ذلك كله بأخبار تلك الرحلة التى رحلها شيخ الأزهر إلى أندونيسيا والبلاد الإسلامية العزيزة، وكيف كانوا يمجدون الأزهر فى شخص شيخه والقائم على شئونه العلمية والدينية .

لقد كان أجدر بهذا الكاتب قبل أن يكتب ما كتب أن يقرأ ما كتبه المؤرخ الكبير أحمد تيمور فى كتاب « أعيان القرن الرابع عشر » حتى يلمس كيف كان هؤلاء العلماء أقوى عضد لأحمد عرابى إبان الثورة العرابية ، وكيف أعانوه على بلوغ مأمنه ، وكيف كانوا قذى فى العيون وشجى فى الحلوق لأعوان المستعمرين وأنصار الظالمين ، وما لنا نذهب بعيدا وقد أشاد هذا الكاتب نفسه ـ فى كتابه « الأيام » الذى وضعه كأول مظهر

مكتبتنا العربية

من مظاهر حياته ـ بالشيخ الأزهرى سيد المرصفى اللغوى المعروف وكيف أثر فيه تأثيرا كبيرا بعلمه وفضله .

يا عجبا لأولئك الكاتبين المناهضين للأزهر ، وقد غاب عنهم أن الإنجليز فى بلادهم يبقون على القديم الذى لا روح فيه استمساكا بأنه قديم موروث عن الأجداد ، فلا بد أن يكون ماثلا لعيون الأحفاد ، فمثلا مجلس اللوردات جسم بلا روح ، ومع ذلك فالإنجليز قد أبقوا عليه ، لأنه فى قديم الأزمنة قد أدى رسالته ونشر أمانته ، فما ظنك بالأزهر ولا تزال روحه فتية ، وعزمته قوية ، وأنوف رجاله أبية ، ينشر دين الله بين بلاد الله ، وينتزع منها الضلالة انتزاعا .

وكان خليقا بهذا الكاتب ـ وقد كان وزيرا للمعارف فى عهد من العهود الحزبية البائدة ـ أن يكون من دعاة هذه الفكرة ، وإذن لماذا أحجم عن الدعوة إليها .

وقد وقف خطيبا فى حفل من الأحفال يخلع على الملك السابق أرفع أنواع الخلع ، ويسمه بأسمى النعوت وأعلاها ، حتى لقد قال وما أعجب ماقال : « ان مولانا الملك حامى الأزهر وحامى الدين فلا بد أن يكون حاميا لوزارة المعارف » .

وأخيرا ـ ياشيخ طه ـ أرجو أن تذكر أن برامجك التعليمية التى جعلتها مثالا يحتذى وقبسا يستضاء به فى الظلمات الحوالك مالها قد ذهبت مع الريح ، بل ما الحكومة الثورة الرشيدة قد كشفت عن مثالبها وعيوبها ، ولم ترتضها مناهج تسير عليها الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، بل وضعت لها برامج أخرى غير برامجك التى أصبحت بين أظهرنا عقيدة لغير معتنق ، وتركة لغير وارث . إذن فليس الأزهر ـ فيما سلخه من أكثر من الف عام ـ مدارس ابتدائية أو ثانوية أو دراسة جامعية دينية ، ينفع فيه الضم ويفيد فيه الاندماج كما تقول .

ثم ما هى النظرية التى أبديتها فى قولك : « ليس بعجيب أن يكون الدكتور أو الصيدلى أو المهندس أو الزراعى متخصصا فى الديانة » ما هذا وما معناه وما مرماه ، لا أكذبك أنها نظريات أفلاطونية . ابحث لك عن مادة أخرى تجلب إليك رزقا ، أو تسوق إليك حقا ضائعا واكتب فيها ، وصدق أبو العلاء يوم قال :

مالك لم تنتفع بعقل هل عصفت بالعقول ريح

عباس طه
المحامى

مكتبتنا العربية

ما هكذا يا سعد ... ؟

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »
(قرآن كريم)

ولست أريد بسعد صاحب الإبل الذى أوردها وهو مشتمل ، ولكنى أريد الدكتور طه حسين الذى كتب مقالا « بجريدة الجمهورية » يدعو فيه إلى توحيد التعليم ، و الاكتفاء بالتعليم المدنى عن الدينى ، وقد أورد فيه الأمور على غير مواردها ، وصدر فيما قال عن هوى وتعصب ، وتجنى فيه على الأزهريين ما شاءت له حزازات نفسه أن يتجنى . وجعلهم طائفة على هامش الحياة

وليس هذا التجنى بشىء جديد ، فتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وجعجعة ولا نرى طحنا .

وكنا نحب من الدكتور ألا ينساق وراء هواه وحقده الدفين ، فيتناول — ببساطة — هذه المسألة التى هى فى الصميم من مقومات الأمة المصرية — بل الأسلامية — أذ هى متعلقة بدينها ولغتها . وان هؤلاء الذين يدعون الى القضاء على التعليم الدينى الذى يعنى أول مايعنى بالتعمق فى الدراسات الدينية والعربية ، أنما يريدون — فى الواقع ونفس الأمر — أن يقضوا على مصر الاسلامية وزعامتها للعالم الأسلامى ، وأن يسدلوا الستار على أنصع صفحة من صفحات مصر فى تاريخها الطويل . ومصر — على رغم أنف هؤلاء — إسلامية لحما ودما ، وستظل حاملة لواء الأسلام ، ومعقله الحصين ، مادامت معتزة بالقرآن وبلغة القرآن . والشعب المصرى شعب متدين بفطرته ، وحريص على دينه وعقيدته . وليس أدل على هذا من أنه قد تعرض فى كثير من الأحيان لأراجيف المرجفين وتضليلات المبطلين من أمثال

---

(١) بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٥

مكتبتنا العربية

الدكتور طه ، فما كانت إلا كسحابة صيف تقشعت ، وثورة قدر خمدت ، وبقى الشعب — إلا شرا ذم منه — كما هو ، سليما فى عقيدته ، معافى فى دينه .

* * *

١ — ولا أدرى كيف يتهيأ لتلميذ قضى المرحلتين الابتدائية والثانوية فى التعليم المدنى ، ولم يتعلم من الدين الا قشورا ومن اللغة العربية الا جزءا يسيرا — كيف يتهيأ لهذا وأمثاله أن يتخصص فى علوم الدين واللغة العربية على نحو ما يتخصص الأزهريون بعد مرحلتيهم الابتدائية والثانوية اللتين أخذوا فيهما بحظ غير قليل من علوم الدين واللغة العربية ؟ هذا فضلا عن إحاطتهم بالعلوم المدنية على نحو احاطة زملائهم فى التعليم المدنى ان لم تكن أوفى وأدق ، بل كيف يتهيأ لتلميذ قضى الشطر الأكبر من حياته فى التعليم المدنى أن يكون عالما ضليعا يفتى المسلمين فيما يستشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ؟ ؟ وهو لا يكاد يحسن الوضوء والصلاة ! ! !

ولو أن المناهج فى التعليمين كانت متقاربة بالنسبة لعلوم الدين واللغة لهان الأمر ، أما والحال على ما ذكرنا من التباعد والاختلاف فى التكوين ، فأن التوحيد يكون ضربا من العبث والفساد ، وقضاء على الثروة الإسلامية التى خلفها لنا الأسلاف على توالى العصور والأجيال .

والأزهريون — حينما يعنون بهذا النوع من التعليم الدينى المدنى — لم يقنعوا صلتهم بالحياة كما زعم الدكتور المتجنى . وكيف ؟ وما العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد إلا بسبب وثيق من حياة الناس . إذ بها يعرفون ما يحتاجون إليه فى عقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم ، ويعرفون حقوق الله عليهم وحقوق بعضهم على بعض . وليس أدل على ذلك من أن علماء الدين الإسلامى كانوا ولا يزالون يشاركون فى حياة الأمة العلمية والعملية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، وفى كل مجال منها لهم اليد الطولى وقصب السبق ، ولا يزال المسلمون فى مصر وفى غير مصر يرجعون اليهم فيما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ، ويرون فيهم ورثة الأنبياء .

* * *

٢ — ومما لا يقضى منه العجب قول الدكتور « **الطلمة** » : « **ولم يعرف المسلمون**

مكتبتنا العربية

فى عصورهم الأولى هذه الحياة التى نعرفها الآن ، والتى تأخذ الصبى من حياته العاملة لتضطره شطرا طويلا من عمره الى نشاط خاص لا يشاركه فيه غيره من المواطنين ، يفرغ فيه منذ صباه لعلوم اللغة والدين ، حتى إذا ما تجاوز الصبا وأضاع زهرة الشباب أصبح رجلا من رجال الدين لا يحسن غير القول فى شئون الدين ، ولا يستطيع أن يتصرف فى غيرها من الشئون ، الى آخر ما نضحت به نفسه من افتراء وكلام ممجوج .

وقد قلب الدكتور الحقائق ، وجعل المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، وافترى على التاريخ .

إن المدارس فى العصور الإسلامية الأولى التى كانت تمثل فى حلقات الدروس بالمساجد وبيوت العلماء كانت مدارس إسلامية بكل ما تحتمله الكلمة من معان ، تدرس فيها علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد وعلوم اللغة ، وإلا فقل لى بربك - أيها الدكتور - بأى العلوم كانت تعنى مدارس مكة والمدينة والكوفة وبغداد والشام ومصر وغيرها من المدارس المنتشرة فى الأمصار الإسلامية ، أكانت تشتغل بدراسة علوم التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ؟ أم كانت تشتغل بدراسة الطبيعة والكيمياء والهندسة والطب وما إليها ؟ .

وهل كان ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - ومن جاء بعدهم : كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد والأوزاعى والليث بن سعد وغيرهم كثير - علماء بالطبيعة والكيمياء والطب والهندسة ؟ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عتقد أن الجواب فى غاية البداهة والظهور .

وكيف غاب عن ذهنك يا دكتور أن المسلمين كانوا يأخذون أولادهم من الصغر بهذا النوع من التعليم الدينى - الذى تنكره وتحاربه - وتسلك فى سبيل ذلك كل صعب ووعر ؟ لقد كان الرجل من المسلمين فى العصور الأولى يأتى بابنه وهو صبى لم يبلغ الخامسة من عمره فيجلسه فى حلقات أئمة الحديث والفقه ، كى يناله شرف الأخذ عنهم والاستماع إليهم ، ثم يتركه للأشياخ يلازمهم ويأخذ عنهم حتى يرى فى نفسه الأهلية للتصدر للعلم والفتوى ، وما كانوا يطلبون بهذا دنيا ، وإنما كانوا يرونه فرضا من فروض الدين ، وقربى من رب العالمين .

والمسلمون الأولون - حينما كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى تعلم علوم الدين وما يتصل به من علوم اللغة - ما كانوا يرون أنهم فى معزل عن الحياة الدنيا ، وإنما كانوا يعملون على خدمة الحياة الدنيا ، إذ ما من قضية من قضايا الناس الا ويلتمس حكمها فى كتاب الله سبحانه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو فى القياس عليهما والاجتهاد فيهما . والشريعة الإسلامية لا تعرف الفصل بين الدين والدنيا ، فقد جاءت بما يسعد الناس

مكتبتنا العربية

فى دينهم ودنياهم ، فمن ثم لم يكن فى الإسلام علماء دين وعلماء دنيا ، فقد كان العالم يفتى الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم .

وعالم الأزهر حينما يتفرغ لدراسة الدين واللغة لم يكن متنكبا عن طريق الصواب ، وانما فعل ما أوجبه عليه دينه ، ولم يقطع صلته بالحياة ، بل بالعكس ربط صلته بأسباب قوية بالحياة . ثم كيف استقام لك أن تقول : إن من تفرغ لدراسة العلوم الدينية والعربية قد أضاع زهرة شبابه ؟ ؟ وما رأيك فيمن تفرغ لدراسة الأدب أو الفلسفة أو غيرهما من العلوم النظرية ، أيكون هو الآخر قد أضاع شبابه فيما لا يجدى ؟ أم أن الأمر عندك مقصور على المتخصصين فى علوم الدين فحسب ؟ ؟ فيالله لهؤلاء المساكين الذين تفرغوا لدراسة دينهم علما وفقها ، والتزموه عملا وخلقا من لدن صدع نبينا محمد بن عبد الله بوحى الله إلى يومنا هذا ، فقد حكم عليهم « علامة العصر فى مصر » الدكتور طه حسين بأنهم أضاعوا أعمارهم فيما لا يفيد ! ! !

لقد كان التعليم الإسلامى فى العصور الأولى إسلاميا لحما ودما ، حتى كان عصر المأمون العباسى فترجمت الفلسفة وغيرها من العلوم إلى اللغة العربية ، فبدأت تنبت فى البيئة الإسلامية مدارس مدنية تدرس الفلسفة وغيرها من العلوم المنقولة ، ومع هذا فلم تزل الحظوة الأولى والمنزلة السامية للمدارس التى تعنى بدراسة علوم الدين واللغة العربية ، ولم يزل الأمر على هذا الى قبيل عصرنا الذى نعيش فيه .

* * *

٣ — ثم ينعى الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يأخذوا أنفسهم بما أخذ به العلماء السابقون أنفسهم « من طلب التعيش بطريق من طرق السعى كتجارة أو صناعة أو غير ذلك » ، ولا أدرى كيف غاب عن الدكتور الحصيف أن حياة العلماء فى العصور الأولى كانت حياة رتيبة هادئة ، ولم يكونوا فى حاجة إلى كثير إنفاق ، لأن مطالب العيش كانت قليلة ، وكانت الدراسات طليقة من قيد الزمان والمكان ، فكان من الممكن جدا الجمع بين التدريس والسعى على الرزق ، وإلى عهد قريب كان بعض علماء الأزهر يتعيشون مما يكسبون ، أما فى عصورنا هذه فقد كثرت مطالب العيش والحياة الكريمة ، وأصبح

مكتبتنا العربية

العالم كغيره فى حاجة إلى مسكن نظيف ومأكل هنيء وملبس جميل ، ولو فعل غير هذا لتناوله الناس بألسنة حداد ، وكان أول من يناله الدكتور وأمثاله . فالحياة أضحت غير الحياة ، والناس أصبحوا غير الناس ، وهل من الممكن اذا اشتغل علماء الأزهر بصناعة أو تجارة أن يقوموا بالتدريس والتعليم كما ينبغى أن يكون ؟ ولا سيما وقد أصبحت النظم الدراسية تقتضى من المدرس أن يحضر فى وقت محدد، ليس له أن يتخلف عنه و الا عرض نفسه للعقاب .

ولماذا ينعى الدكتور على الأزهريين ما لا ينعاه على غيرهم من بقية طوائف الأمة من المعلمين والمهندسين والأطباء وغيرهم الذين يتقاضون أجورا من الدولة نظير ما يقومون به من عمل ؟ ؟ ولماذا يحرم على العلماء ما يحله لنفسه ؟ ! .

ينعى الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يشتغلوا بصناعة أو تجارة على حين نجد أمم الغرب توفر لفريق من علمائها الوقت الكافى والمال الوفير وتدعهم يفرغون الى البحث والدرس والتمحيص ، وفى أى شيء يكون البحث والدرس ؟ ان كثيرين منهم يفرغون للدرس والبحث فى علوم الإسلام ، وفى الثروة الطائلة التى تركها علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثون ! ! .

ولماذا نسى الدكتور فى هذا الصدد سنة التطور وسنة التقدم والرقى فى الحياة التى يلهج بها دائما ، فأراد أن يرجع بعلماء الأزهر الى ما قبل ذلك بعشرة قرون ؟ ؟

* * *

٤ — وبعد أن أتعب الدكتور نفسه فى مقدمات غالط بها التاريخ ، ودلس على الناس ، قال : « واذن فقد آن لمصر من جهة أن تلائم بين حياتها الجديدة المتطورة و بين تنشيء هذه الأجيال التى تفرغ لدراسة الدين من أبنائها ، بحيث لا يقتطع هؤلاء الأبناء عن الحياة العامة وعن الظروف التى تحيط بهم ، ويكونون فريقا لا هو بالقديم ولا بالجديد . . فاذا تحدثت إليه فى شأن من شئون الحياة العامة لم يفهم عنك ولم تفهم عنه ، لأن بينك و بينه أستارا كثافا . . . وقد فرض على عقله أن يعيش غريبا فى وطنه و بين معاصريه ، لا لشيء إلا لأنه اقتطع من بيئته ، وزج به فى هذه الحياة الخاصة التى يحياها رجال الدين ، فانقطعت الصلة بينه و بين حياة الأمة كلها ، وأصبح قريبا منها غريبا فيها » .

مكتبتنا العربية

كلام غريب حقا . كرر فيه وأعاد وزاد، حتى أصبح كلاما معجوجا من ذوى العقول الصحيحة والفطر السليمة ، ولا أكاد أفهم ـ ولا غيرى يكاد يفهم ـ كيف يعتبر المتفرغ لدراسة الدين مقتطعا من الحياة ومن البيئة التى تحيط به ، والحياة كما قلت متصلة بسبب قوى بدراسة الدين، والظروف والبيئة تحتمان هذه الدراسة ، فما زالت الأمة المصرية بخير من جهة الحرص على دينها، وما زالت البيئة فى حاجة ملحة إلى من يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم ، ولا يزال جمهور الأمة والمسلمين يرون فى علماء الأزهر مصابيح الهداية ونجوم العرفان . ولا يزال العلماء أقرب إلى قلوب الناس ـ فى مصر وفى غير مصر ـ . وقد شاء الله لى أن أشهد موسم الحج مرارا ، والتقيت بكثير من المسلمين ، فتكشف لى عن يقين ما يكنه المسلمون للأزهر ولعلماء الأزهر، وليس هذا الحب والتقدير لذواتهم ، بل لما يرونه فيهم من أنهم ورثة نبينا محمد بن عبد الله فى حمل رسالة الإسلام وتبليغها الى الناس كافة .

ثم ما هذه الحياة الخاصة التى يحياها رجال الدين وينكرها الدكتور عليهم ؟ أهى حياة الرهبنة ؟ . كلا، فالإسلام لا رهبانية فيه، أم هى حياة التقشف والانزواء عن الناس ؟ . كلا ، فقد أصبح الطالب الأزهرى فى رغد من العيش، وعلى صلة وثيقة بالناس والمجتمع، وليس قريبا من الأمة غريبا فيها . والأزهريون فى جميع عصورهم لم يكونوا من أبناء أصحاب الإقطاع ولا من أبناء الدخلاء على مصر ، فلهم من شعبيتهم ما جعلهم أقرب الطوائف المتعلمة الى قلوب الأمة .

وهذه القوة الكامنة فى الأزهر ـ علمائه وطلابه ومدرسيه ووعاظه وأئمته وخطبائه وأبنائه المنبثين فى كل وزارات الدولة ومصالحها ـ لتؤدى الى الأمة المصرية أفضل ما تؤديه فئة فى هذا الوادى ، والكثيرون من الأزهريين يعملون فى صمت ولا يحبون أن يعلنوا عن أنفسهم كما يفعل غيرهم ، وفيهم جنود مجهولون لا يعنيهم المراءاة بأعمالهم ، وانما يعنيهم نفع الناس ، والقرب من الله المجازى كل نفس بما كسبت .

إن أفضال الأزهر على مصر وعلى العالم العربى والإسلامى لعظيمة ، نقولها لا للمن ، وإنما للحقيقة والتاريخ . وليس أدل على ذلك من أن أغلب زعماء النهضات الدينية

مكتبتنا العربية

والعلمية والأدبية والسياسية هم من أبنائه الذين نهلوا من منهله ، وارتشفوا من رضابه ، وان الكثيرين من رجال الفكر والعلم فى عصرنا هذا مدينون له معترفون بفضله عليهم ولم يجحد الفضل ألا قلة من أمثال الدكتور .

ويعيب الدكتور طه على الأزهرى « أنه ليس بالقديم ولا بالحديث ، لأنه يفكر كما يفكر الناس من قرون ، ويعيش فى حياته المادية كما يعيش المعاصرون له ، فيركب السيارة والقطار والطائرة » وما ذا يريد بالناس ؟ أغاب الظن أنه يريد سلف الأمة وعلماءها الأجلاء ! ! !

وما الذى يعنيه بأنكاره ؟ أيريد أن نتخلى عن كتاب الله وسنة رسوله الموحى إليه بهما من ربه ، ونشتغل بفلسفة اليونان وسفسطاتهم وثقافة الفرنسيين الذين يحبهم ويحبونه حتى ننفى عن أنفسنا أننا محافظون ؟ ؟ أم يريد أن نقطع صلتنا بالسلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية وما خلفوا لنا من كنوز وذخائر ، ونصل حبالنا بأبناء السين والتايمز حتى يرضى عنا ويضعنا فى قائمة المجددين ؟ ؟ أم يريد منا اذا ماقال الله ورسوله : « الربا حرام » و « التبرج حرام » و « اختلاط الجنسين حرام » و « الرقص مجانة واثم » و « الملاهى والتمثيل الخليع والفسق والفجور منكر ويقضى على معنويات الأمة ويقتل رجولتها ويسارع بها الى الهاوية » أن نجىء نحن فنقول — ارضاء للدكتور ولأمثال الدكتور — : إن كل ذلك حلال ، ولا ضرر على الأمة منه ؟ ؟ ! ! !

ألا فليعلم الدكتور ومن على شاكلته أنه لن يكون شىء من ذلك ، ودون ما يريد خرط القتاد وصعود السماء ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ .

ومن أكذب الكذب ما زعمه الدكتور « أنك اذا تحدثت الى رجل الدين فى شأن من شئون الحياة لم يفهم منك ولم تفهم منه » . سبحان الله يا دكتور ! إن كثيرين من الأزهريين يحاضرون ويتكلمون فى شئون الحياة فيفهم الناس عنهم ، ويتكلم الناس فيفهم عنهم الأزهريون ، ولا أدرى اذا كنت تعيش فى دركات من الأرض فلا تدرى شيئا عما وصل إليه الأزهر وما يدرس فيه من علوم ومعارف ، أم أنها سخيمة نفس أبت إلا أن تستعلن ، فجرى لسانك بهذا الزور والبهتان ؟ على أى حال قد جانبك الحق والصواب .

* * *

ولتعلم يا دكتور — إن كنت لا تعلم ، أو تتجاهل ما تعلم — أن فى أبناء الأزهر اليوم من

مكتبتنا العربية

تخصصوا فى تاريخ الملل والنحل وفى الفلسفة وعلم النفس وأجادوها أيما أجادة ، وفيهم من تخصص فى بعض اللغات الشرقية والغربية وثقفها كما ثقفها أبناؤها ، وفيهم من تخصص فى الأدب العربى ويحاضر فيه أجود مما تحاضر ، وفيهم من تخصص فى التاريخ قديمه وحديثه الإسلامى وغير الإسلامى .

هذا فضلا عن الكثرة من العلماء المتخصصين فى علوم الدين واللغة العربية ، ولم يعيشوا فى عزلة عن العالم كما زعمت ، ولكنهم على علم أيضا بما يجرى فى الحياة ، وما جد ويجد فى العالم من نظريات علمية ومذاهب فكرية واقتصادية وسياسية ، ويتحدثون الى الناس فيما تخصصوا وفيما لم يتخصصوا فيه من العلوم الحديثة التى يعرفون منها مثل ما تعرف ، فيفهم عنهم الناس ويفهمون عن الناس .

* * *

٥ — ولم يشف نفس الدكتور كل هذا التجنى والبهتان ، بل جعل من نفسه داعية لرجال الدين المسيحى ، فوصفهم بالقدرة والنشاط والتصرف فى كل شئون الحياة ، ووصف شيوخ الدين الإسلامى بالعجز والجمود والقصور . وأحب أن أقول للدكتور الداعية : ليس هذا بأمر جديد عليك ، ففى مطلع حياتك التى كنت تراعا فيها الى الشهرة ولو بالباطل نصبت من نفسك داعية للمبشرين وأضرابهم من المستشرقين ، وحاولت أن تشكك الناس فى عقائدهم وقرآنهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فعثرت على ذيل مقالة (١) لمبشر تستر تحت اسم «هاشم العربى» فنسبت ما جاء فيه لنفسك ، وادعيت أنه من بنات أفكارك ، كى تظهر أمام الطلبة المخدوعين بك أنك باحث مجدد حر الرأى ، فأنت اليوم فى شيبك تعيد شيئا من سيرتك الأولى فى شبابك ، وما ذنب علماء الأزهر وأبنائه فى أنهم لم يكن منهم أطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ، ما دامت القوانين المصرية لا تفتح لهم هذا النوع من التعليم . ولو أن الفرصة واتتهم ، والدولة أنشأت فى الأزهر كليات للطب والصيدلة والعلوم والهندسة ، لكان منهم النطاسى والصيدلى والكيمائى والمهندس ، والعقلية الأزهرية عقلية خصبة اذا ساعدتها الظروف أنتجت أيما انتاج ،

---

(١) « مقالة فى الإسلام » لجرجيس صال الانكليزى ، ومعربها المتستر تحت هذا الاسم له ذيل على المقالة ، ضمنه طعونا على القرآن الكريم من نواح متعددة ، وكل هذه الطعون أباطيل وافتراءات .

مكتبتنا العربية

وفى مبدأ النهضة المصرية فى القرن الماضى اختيرت معظم البعوث التى أرسلت الى أوروبا من أبناء الأزهر، فضربوا بسهم رابح فى المعرفة، ورجعوا فى جعبتهم بكثير من علوم الغرب ومعارفه، فأفادوا أنفسهم وأفادوا أمتهم، ولا تزال بعض آثارهم باقية الى اليوم.

* * *

لقد كان الأولى بالدكتور لو كان منصفا وجادا أن يقترح على المسئولين — اذا ما أرادوا أن يقربوا بين طوائف الأمة — أن يباح للحاصلين على الشهادات الثانوية الأزهرية أن يدخلوا كليات الجامعات المدنية، وحينذاك سيكون عندنا علماء جمعوا بين التأسس فى علوم الدين والتخصص فى العلوم الدنيوية، ويكون طالب الأزهر بعد أن ينتهى من المرحلتين الابتدائية والثانوية حرا بين أن يدخل الكليات الأزهرية، وبين أن يدخل الكليات الجامعية. وهذا الاقتراح جدير أن ينظر اليه بعين التنفيذ والانصاف، ولم يعد ثمة مجال للتعلل والاعتذار، بعد أن قرر الأزهر ادخال تعليم اللغات فى جميع مراحله. والأزهر حينما اختار لنفسه التخصص فى الدراسات الدينية واللغوية لم يكن عاجزا ولا مقصرا ولا خامدا، وانما اختار هذا النوع من التعليم لأنه آثر خدمة دينه وخدمة مواطنيه وخدمة العالم الإسلامى على زخارف الدنيا ومباهجها ومناصبها، وكان الأجدر به أن يكرم على هذا الإيثار فى هذا العصر الذى غلبت فيه المادية الجائحة، لا أن يتهجم عليه ويرمى بكل منكر من القول كما صنع الدكتور.

وقد ضرب لنا الدكتور الداعية الأمثال برهبان تخرجوا فى مدارس الهندسة والصيدلة ثم تخصصوا فى علوم الدين، ولقد كان الأولى به أن يوجه اللوم الى هؤلاء الذين تخرجوا فى الكليات المدنية ولم يخطر لهم على بال أن يتخصصوا فى علوم الدين كما فعل أمثالهم من رجال الدين المسيحى، ولو فعلوا لكان عندنا أطباء وصيادلة ومهندسون قد تخصصوا فى علوم الدين والدنيا.

* * *

٦ — أما ما رمى به الدكتور — فى جواب تساؤل له — من أن الشباب الأزهرى « لا يتعلم كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس، وأنهم فرغوا لفنون من النشاط لا تغنى عنهم ولا عن مواطنيهم ولا عن الدين نفسه شيئا » فزور وكلام مكرر معاد، فهم يتعلمون كما يتعلم غيرهم وأكثر مما يتعلم غيرهم، وهم حينما يتفرغون لهذا النوع من الدروس، فانما يستجيبون للبيئة المصرية والإسلامية التى هى فى أشد الحاجة الى هذا النوع من العلوم، ويفيدون أنفسهم ومواطنيهم، ويخدمون من قبل ذلك كله دينهم أجل خدمة وأخلدها.

مكتبتنا العربية

وأزيد على ذلك اقتراحا عمليا ، وهو أن تعقد مسابقات بين شبابنا فى التعليم الأزهرى وشبابنا فى التعليم المدنى وبين خريجى الكليات الأزهرية وخريجى الكليات الجامعية، فيما يشتركون فيه من علوم ومعارف، مع مراعاة عدم التحيف والجور ، وسيعلم الناس قاطبة من المجلى فى مضمار المعرفة ومن المتخلف ؟ وقد جربت هذه التجربة مرارا فكان الغلب فيها للأزهريين . وما مسابقة البعثة الفهمية وغيرها عنا ببعيدة . وأنا أعرف كثيرين من الشباب الأزهرى كانوا الأوائل فى مسابقات ديوان الموظفين . ولعل هذا الاقتراح المنصف يقطع الدكتور عن الجدال واللجاجة فى الخصومة .

* * *

هذا ولا يسعنى وقد انتهيت من الرد على مقال الدكتور طه إلا أن أذكره بأن فضل الأزهر كان عظيما عليه ،ولولا الأزهر لما كان ، ولما وصل الى ما وصل إليه من ثقافة لغوية وأدبية .وبحسب الأزهر فضلا أنه المعهد الوحيد الذى فتح أبوابه له ولأمثاله وقبلهم فى تعداد طلابه يرتشفون من معينه الثر ، وهو أدرى بمستقبله لو لم تكن هذه الجامعة العتيدة التى آوته وغذته ونشأته . فلم هذا العقوق ؟ ولم كل هذا التجنى ؟ . بعضا من الانصاف والحياء يا دكتور ! ! .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وانى أهمس فى أذنه بأن شباب الأزهر علماء وطلابا لا يثمنون هذه الخطوة ولا يحبونها وغير مقتنعين بها ،ولا يغرنك ما تسمعه من شرذمة قليلة تعيش عالة على الأزهر . ليس لهم شخصية ولا ضمير ولا خلق . ويسيرون وراء كل ناعق ،ويسخرهم أى اغراء، والأزهر منهم ومن سيرتهم برىء .

وأخيرا أذكرك بمقالة الفاروق رضى الله عنه فى كتابه الفذ الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : « ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه الى رشدك أن ترجع عنه ، فأن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » . والسلام على من اتبع الهدى . ٤

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

ياليت قومى يعلمون

« رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » . « وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »

أحسب الناس أن يتركوا أن ينالوا من كنانة الله فى الأرض ، ومعقل خلافته فى الشرق والغرب ، وهم لايصابون بأشد البلاء ، ولا يرميهم الله بأخطر الأدواء ، الا أن يأذن الله بمحو هذا الدين ، ويتأذن بازالة مجد المسلمين . اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

ما للناس يحاولون أن يتعجلوا ذلك الخسران المبين ، وما لهم يستعجلون بذلك العذاب الأليم ، وقد عافاهم الله برحمته ، وآمنهم من الخوف بنعمته . ولكنهم كما يقول الله سبحانه : « ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا » .

والذى نفسى بيده لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير ، أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق ، أحب الى وأهون عندى من دعوة تهز عرش الرحمن . ودعاية تقوض من هذا الدين أعز بنيان . وتقضى على فخر الإسلام ومجده ، ومعلم الدين وعلومه : الأزهر الذى قضى على كل ظلم وظلام ، وبلغ رسالة الله الى جميع الأنام « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

أو حسبتم أيها المصريون ، أو توهمتم أيها الشرقيون ، أن مصر تبقى فى موضع الزعامة ، ومعقد القدوة والأمامة — تلك التى أسلست قياد العالمين ، وأخضعت رقاب المسلمين وغير المسلمين — الا بهذا الأزهر الذى توهمتموه شيئا بورا ، وظننتم محوه أمرا ميسورا . « ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم »

ان الأزهر الذى تخوضون فيه منذ الآن شىء غنى عن التعريف به . أو لفت الأنظار الى حقيقته . انه تلك الجامعة الكبيرة الخطيرة التى ذرت بها الشمس للقاصى وللدانى ، حتى أبصره الأعمى ، وأسمعت آياته الصم ، وهزت رسالته أركان المعمورة فى كل قطر ، فكان — ولا سيما منذ عهد المماليك — كعبة يحج اليها الطالبون للعلم من مشارق الأرض ومغاربها ،

مكتبتنا العربية

يتوفرون على دراسة الدين وعلومه ، فيتنقلون فى معارج الكمال والسمو ، ويرتفعون الى حيث النبوغ والفوق . وفرقانا وضياء للمتقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

فلولا هذا الأزهر الذى تنكرون تاريخه ، وتجحدون فضله وأمجاده ، لم يكن فى مصر نفسها علم ولا ثقافة بله الدين ، وإن تاريخكم الحديث ليشهد بأن الأحداث قد استطاعت أن تنال من كل مظاهر العلم والمعرفة فى كل مكان سوى الأزهر ، يوم سلط عليكم الأتراك العثمانيون يسومونكم سوء العذاب ، ويتصرفون بالفساد فى كل خير مسعد للبلاد ولا سيما العلم والتعليم ، فأغلقوا جميع المدارس ، وقطعوا صلة الناس بالمعارف من كل شىء إلا من الأزهر ، فلما أرادت مصر أن تبدأ نهضتها وجدت من الأزهر من ينشئ المدارس ، ومن يقوم بالبعوث الى الخارج ، ومن يكون الجامعة المصرية ، ومن ومن .. حتى استقام الأمر لمن يريد بالبلاد الخير ، وجاءت هذه النهضة الكبرى : نهضة الجيش المباركة ، فوجدت الرصيد الثمين من دعاة الخير ، ومن هم طوع يدالله فى كل ما تدعو إليه من تقدم ، وهم رجال الأزهر الذين يقولون بلسان حالهم للسيد رئيس البلاد وصحبه : « والله لو خضتم بنا هذا البحر ، فى أى مجد لمصر ، لخضنا معكم ، ما نبالى أسقطنا على الموت أو علينا سقط » ذلك لأنهم يلبون فى الحق والخير أمر الدين ، وينفذون تعليمه القوى المتين ، فما بال قوم ممن يزعمون أنهم مصريون ، ويدعون أنهم مسلمون ، يريدون أن تخلو مصر من كل ذلك السؤدد والمجد ، كأنهم يحسبون ذلك مما تقضى فيه كلمة طائشة ، أو ينفذ فيه رأى قائل . ويريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أيتها العصابة الجائرة ، من أصحاب المحاولة الخاسرة : ليس هذا بعشك فادرجى ، وما هذا بمرامك فارجعى . إنه لمرام صعب ، وإنه لمنال عزيز وعر ، إن الأزهر فى حراسة الله مادام الله يريد دين الحق ، وانتصار النصف والعدل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يبلغ رسالة الله ورسالة الأنبياء من قبل : اصلاح عالمى ، وسلام اسلامى ، ولأنه يعاون الحكم الصالح الذى يمثل اليوم فى حكومة الثورة ، وما هى الا تحقيق لأغراض الدين من الحق والقوة ، والإخاء والألفة ، والعدل والمساواة ،

مكتبتنا العربية

والقضاء على المباهاة ، كما يأمر الله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

ان فى الأزهر رجالا من أهل الإرشاد يدعون بدعاية الإسلام الى ما يعجز عن تحقيقه كل قانون ، لأنهم يستطيعون بروح الدين أن يصلوا الى مدب السرائر ، وأن يناجوا القلوب والضمائر ، حتى يقتاد عصيها ، ويطيع أبيها « أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يحمل الكتاب والميزان خلافة عن الله فى الأرض . ليقوم الناس بالقسط . ألا وإن من تعرض لحق الله القوى فقد آذنه بالحرب ، ومن حارب الله حربه الله « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .

وإن فى الأزهر حق الشرق ، فأنه ينفر من كل أمة منه الى الأزهر طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

وان أمم الشرق لتتطلع الى بعوثها كما ترقب القمر فى الظلام الدامس ، وينتظرونهم انتظار الأرض الهامدة الماء الغيث الهاطل « وترى الأرض هامدة فأذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

فياليت شعرى . أين يكون المستقر ، لذلك الطير الذى يطير الى مصر ، لينهل من حياض الأزهر ، ويملأ جوفه من ذلك الكوثر ، اذا حققتم ذلك الغرض الاستعمارى ، فأخليتم مصر من ذلك المعهد الإسلامى العالمى .

اللهم لا تحقق ذلك الحلم المزعج فى أمتنا ، بل باركها وزد فى خصوبتها و« اجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ان الأزهر عند الانصاف حق للعالم كله لمن تجرد من العصبية الفاجرة ، وخلا من تقديس المادية الملحدة الجائرة « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » .

ان الأزهر رسالة الحق الذى هو ضالة كل موجود ، وأمل فى بقاع الأرض منشود .

ان طبيعة الوجود الصالح ، لا تقوم الا على الخلق الفاضل ، والدين الخالص الذى

مكتبتنا العربية

يوفق بالقسطاس المستقيم بين مطالب الروح ومطالب الجسد وغذاء العقل ، والإسلام هو المعيار الصادق لتلك الحقائق ، والأزهر معيار الإسلام .

أنسى الناس أن أهل كل دين يحاولون أن لا تمس شعرة منه بأذى ، وأنهم يرصدون أكبر قسط من أموالهم للتبشير والدعاية ، ويحقرون له أكبر مجهود ، حتى انهم يحاربون الإسلام ويندون بتعاليمه ، ويغمزونه فى زعيمه صلى الله عليه وسلم . فمالكم تناصرون عدوكم المستعمر، فتنضمون الى الصفوف ضد الإسلام؟ .ذلك هو الحمق فى حاقه ، وعبث الأطفال فى صميمه . وصدق الذى يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ما بالكم تحاولون جاهدين فى اغلاق الأزهر وهو محور سعادتكم ، وموضع الألم فى نفوس أعدائكم ؟ فهل تظنون أنهم يبغضون شيئا وهو شر لكم ؟ لقد ساء اذا ظنكم ، وجهلتم البدهيات من الحقائق :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

يا قومنا ، ان العدو ليود بجدع الأنف لو رأى الأزهر وأهله حصيدا خامدين ، فهو يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من مصر والأزهر كما يريد ما دام هذا القرآن قائما ، وما دام هذا الدين فى الأزهر جاثما « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » .

يا لشماتة العدو ، ويا لفرحة الصهيونية ، اذا تحققت أغراضها فى هاته الجامعة الكريمة ، وفى هذا الأسد الرابض فى العرين ، والليث الذائد فى الزبية عن هذه الأمة .

أيها الناس ، ان هذا التراث مجد مصر ، ومجد الشرق ، فلا تعجلوا بازالته ، ولا تقولوا اننا نريد اصلاحه ، فان اصلاحه ليس فى ضمه الى المدارس ، بل ان اصلاح المدارس فى ضمها اليه ، ليأخذوا من مناهل هذا المجد الشامخ ، والعلم النافع ، والأدب المهذب المصلح .

ويا ليت شعرى من لحل المشاكل ، واجابة كل سائل ، واغاثة كل لهفان حائر ، اذا فرطتم فى هذا الدين ورجاله ؟ ومن يدعو الى الخير ، ومن يأمر بالمعروف وينهى عن

مكتبتنا العربية

المنكر ، وهى سعادة البشر وفلاح الأمم ؟ « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ما لكم لا تصغون الى رأى الأمة فى هذه الجزئية ، بل الى شعوب العالم الإسلامى ، وما لكم لا تتعرفون رغبتها ؟ . انكم تعلمون أنهم يفتدون الأزهر بأعز ما لديهم ، لأنه غذاء أرواحهم ومعقد آمالهم .

ان الأزهر لا يستعصى على الإصلاح ، لأنه ـ فى الواقع ـ يتجدد كل يوم فى حدود امكانياته وبما يحفظ هذا الدين ، ولا يستطيع أحد أن يقول انه اليوم كما كان فى عهود الباجورى والامبابى والمهدى وغيرهم من الشيوخ السابقين ، بل انه كل يوم يتجدد بما يساير العصر ، مع المحافظة على تقاليد الدين والمجد ، والدين شىء لا يتخلف أبدا ، ولكنه يساير كل تقدم .

ان الأزهر ليتجدد فى كل مظاهره : فى أماكنه ، وفى كتبه ، وفى مناهجه ، وفى معارفه ، وفى عدده . ولعل فيه من معامل الطبيعة ، ومن أدوات الرسم ، ومن خرط الجغرافيا والتاريخ ، ومن النفيس والتافه مما تتطلبه حاجة العصر ، ما لا يوجد فى كثير غيره من معاهد التعليم ، ناهيك بالمكتبات وما تحويه من جميع الفنون فى كل قديم وحديث .

ان المناهج لتتجدد فيه ، وترحب بالنقد والمناقشة . وتستقبل كل جدير من الآراء . ولعلك أيها القارئ الكريم ترى مجلة الأزهر ، فتوازن بينها وبين كل أمثالها فى الأقطار ، وتستشرف الى بحوثها الممتعة الماجدة المهذبة القيمة .

أيها الناس ، لا تتهموا الأزهر بأنه يدعى لنفسه عصمة دينية أو غير دينية تجعله فوق الإصلاح كما تزعمون ، ولكنه يخشى أن تضحوا بأشمط عنوان السجود به ، فيضطرب حبل التماسك الإنسانى ، وينفرط عقد الإخاء الإسلامى ، ويعود الناس كما كانوا على شفا حفرة من النار ، لا ينقذهم منها الا الدين وما يأمر به ، والأزهر وما يضم من كنوزه . اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون ما

محمود النواوى

مكتبتنا العربية

توحيد التعليم

بيان من جبهة علماء الأزهر

نشرت بعض المجلات والصحف أنباء مثيرة حول توحيد التعليم ، وكلمات لبعض الكتاب مؤيدة وأخرى رافضة . وجبهة العلماء ترى أن التفكير فى هذا الموضوع مدعاة للشر ، وعامل من عوامل الفساد والإثم . وأى إثم أكبر من هدم الأزهر والقضاء على علوم الدين ، وروح الإسلام فى مصر والبلاد الإسلامية . قال الله تعالى مخاطبا الأمة المحمدية :

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

فقد فرض سبحانه وتعالى على الأمة أن تكون منها طائفة تتعلم شرع الله من علمائه والمختصين به ، لتبلغه للعامة إصلاحا للمجتمع ، وتطهيرا له من الفواحش والمنكرات .

وقد كان الأزهر فى مصر ـ ولا يزال ـ مضطلعا بهذه الفريضة ، به صفوة علماء الإسلام ، وأفئدة الناس تهوى إليه من كل مصر وقطر ، يتفقهون فى دين الله ويتعلمون لغة كتابه وسنة رسوله ، ثم يعودون الى بلادهم نجوما هادين ، ورسلا إلى الخير داعين ، فدام للاسلام نوره المنشود ورواقه الممدود ، ووقف عليه من أجل ذلك أهل الغنى والتقى النفيس من الضياع والرباع ، ورصدت له الحكومات المتعاقبة الأموال فى الميزانيات المتتابعة ، وجاء فى القانون المنظم له سنة ١٩٣٦ فى مادته الأولى : أن الغرض من الجامع الأزهر هو تعليم الدين أصوله وفروعه وتعليم اللغة العربية . وإنما يراد بالدين الإسلامى عقائده وأخلاقه وعباداته ومعاملاته المالية والشخصية والعقوبات على الجنايات الخ ، ويراد بعلومه ما يؤهل لمعرفة هذه الأحكام من التفسير والحديث وعلومه وأصول التشريع وفلسفته والفلسفة الكونية والتاريخ الاسلامى الخ . فمهمة الأزهر دراسة هذا كله وتدريسه فى إتقان وتفرغ ، ضاما إليه ما لا بد منه من العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية . ومهمته كذلك تخريج علماء قادرين على البحث والاستنباط فى الشرع الإسلامى واللغة العربية .

دعا كل هذا إلى تنظيم الجامع الأزهر بوضعه القائم عليه الآن ، فكان لابد لمن يقبل فى معاهده أن يكون حافظا لكتاب الله ، ليتيسر فهمه وأداؤه وتقويم الألسنة بأسلوبه ، وليتحقق التواتر فى روايته الذى هو ركن أساسى فيه ، إذ لو انقطع التواتر ـ والعياذ بالله ـ لدخل على القرآن التحريف والتبديل . وكان لابد كذلك من إنشاء المعاهد الدينية بوضعها الحالى : ليتيسر فيها دراسة علوم الدين واللغة والتاريخ الإسلامى دراسة شاملة تكون الثقافة الضرورية للشخص المسلم ، وتؤهله للدراسات العالية فى كليات الأزهر ، ولا يستطيع عاقل أن يقول : إن الثقافة المدرسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم تؤدى عشر معشار ما تؤديه المعاهد الدينية واللغوية .

فمن الخطأ الشنيع بل الفساد الكبير الإقدام على المساس بأى حلقة من هذا النظام ، لأنه وليد ضرورة إسلامية ملحة ، وتجربة طويلة مبصرة ، ومجهود أفكار مخلصة ، عملت للاسلام وجاهدت فى سبيله . ونحن الآن ـ فى هذا العهد المبارك ـ نتطلع لأن يجعل قادته الأزهر مفخرة من مفاخر مصر التى تسدى الخير للعالم الإسلامى كله . نريد أن ينظر اليه على أنه الحصن العالى الذى يأرز اليه الإسلام ، فيصونه من عبث العابثين وابطال المبطلين .

وإن نفوسنا لتذوب أسفا من هذه الأفكار الهدامة المنادية بألغاء المعاهد الدينية ، وتوحيد التعليم ، إنهم يعتلون لذلك بتوحيد الثقافة فى مصر ، وإنها لسفسطة لا يراد بها وجه الله ، فليست ثقافة الأزهر ثقافة شيوعية أو يهودية ، إنما هى ثقافة إسلامية عصرية متحدة تماما مع الثقافة العامة فى الدين والاجتماع واللغة وعلوم الطبيعة والرياضة . وكل ماهنالك أن علوم الدين واللغة حظيت بالمزيد فى المعاهد الدينية للضرورة التى أسلفناها ، ولو كان هناك إنصاف لوجب أن تتوسع الثقافة المدرسية فى العلوم الدينية واللغوية حتى نقضى على الإلحاد المنتشر بين طلاب الجامعة وحتى نمحو العجمة اللسانية التى عمت أكثر خريجى الجامعات .

إن طلاب المدارس بعد خمس سنوات من دخولهم القسم الإعدادى يوزعون على الشعبة العلمية والشعبة الأدبية ، ثم فى الجامعة يذهب الطلاب من كل شعبة الى كليات مختلفة ، فهل تسمى وزارة التربية والتعليم مثل هذا تعددا فى الثقافة ، أم هو التخصص الذى لا بد منه ليمكن إيجاد المهندس البارع والطبيب النطاسى ... الخ .

مكتبتنا العربية

إن التعليم فى الأزهر لا يمكن أن يقال عنه إنه تعدد فى الثقافة ، بل هو وحدة بأوله ، واختصاص بعلوم الإسلام واللغة العربية بآخره . ثم إن إشراف الجامع الأزهر على هذا التعليم الدينى ضرورى لا معدى عنه ، لأنه أتقنه وتفرغ له وأخلص فيه وعرف حدوده وواجباته ، ولو قدر الإشراف عليه لوزارة التربية أو الجامعات لأصبح هذا التعليم الدينى فى مهب الأفكار ومعترك الاقتراحات ، ولانماع ثم فنى ، ولكان أول خطورة فى سبيل هذا التوحيد ضياع القرآن الكريم ! ! .

أيها الرئيس . أيها القادة :

نحن نقدر إخلاصكم للأزهر ، وحرصكم على علوم الإسلام ، ونعرف — مع ذلك — أن فى البلد قوما يتربصون الدوائر بهذا الصرح الإسلامى الشامخ ، وهذا المجهود الإسلامى الضخم ، وهذه المنارة العالية ، فنناشدكم الله ألا تسمعوا لهذه الآراء المنحرفة ، وأن تمكنوا الأزهر من المضى فى أداء مهمته ، فإن فى بقائه بقاء الإسلام ومجد مصر ما

رئيس جبهة علماء الأزهر

محمد الشربينى

العصابة المفتونة

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا ، واقبض حق أئمة ... طاعوا به زهرا ، وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر ... ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
لا تحذ حذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه ... وإذا تقدم للبناية قصرا

شوقى

مكتبتنا العربية

انه مجد مصر والمسلمين

فماذا تريد به يا دكتور ؟ ؟

لقد كان لتحريض الدكتور طه حسين للحكومة على اتخاذ ماسماه « الخطوة الثانية » وذلك بأدماج التعليم الأزهرى فى وزارة التربية والتعليم والقضاء على الدراسة الإسلامية العربية التى يمتاز بها الأزهر، أقول: كان لهذا التحريض أثره السيئ فى النفوس فى مصر وفى خارج مصر ، فأن دعوة الدكتور هذه إنما هى دعوة للقضاء على الأزهر وعلى أمجاد مصر والعالم الإسلامى، فما الأزهر إلا قطعة حية من تاريخ مصر والعالم الإسلامى، أوهو على الأصح صانع هذا التاريخ ، ظل ينبثق منه نور العلم بعد أن خفتت كل مصادره ، وعاصر قيام كل حركة دينية أو وطنية ، أو كان على الأصح باعثها وموقظها .

و إذا أراد أحد أن يعرف ذلك عن يقين فليبحث عن مصدر العلم فى مصر قبل إنشاء الجامعة ، وليبحث عن مصدره كذلك فى العالم الإسلامى قبل أن تنشأ دور العلم الحديثة فيه ، لقد كان كل خيط فى أية رقعة من العالم الإسلامى يمتد حتى يتصل بمصر و بالأزهر الخالد ، حتى كسبت مصر به مكان الزعامة فى العالم الإسلامى ، وأصبح كثير من البلدان الإسلامية لا يعرف مصر إلا إذا قلت له : هى التى فيها الأزهر .. فيتفتح قلبه لها و يحن إليها، وفى كتابة الأستاذ على أمين عن زيارته للمسلمين فى روسيا ما يعطيك فكرة عن هذه الروح ... فقد سأل المسلمين هناك عما يريدونه من مصر ، فقالوا له : سلم لنا على الشيخ تاج شيخ الأزهر والشيخ الباقورى .. وقد قرأت للشيخ التفتازانى ـ وهو يكتب « بالأهرام » عن رحلته فى شرق أوربا ـ أن بعض المسلمين سأله عن وطنه : فقال لهم : مصر : فلم يعرفوا مصر .. فقال لهم : مصر التى فيها الأزهر .. ففرحوا ، واحتفوا به ، لأنهم يعرفون الأزهر و يحبونه ولا يعرفون مصر ...

فهذه القمة من المجد التى يقف عليها الأزهر بعد مئات من السنين قضاها فى المحافظة على الإسلام ولغة القرآن تمتد الآن محاولة عابثة لهدمها ، وهذه الزعامة التى تبوأتها مصر بفضله يراد القضاء عليها . فماذا يبقى لمصر فى العالم الإسلامى ؟ وهل يتفق هذا مع وثبتها

مكتبتنا العربية

الجديدة ورغبة قوادها الأبطال فى تمكين الروابط بينهم وبين العالم الإسلامى، بعد أن ظهرت لهم نيات الغرب الخبيثة فى التهام وطنهم والوطن الإسلامى كله ؟ .

إذا كنا نريد القضاء على المعاهد ونجعل التعليم كله على نسق وزارة التربية والتعليم ، فهل نجد حينئذ من يحفظ القرآن و يقبل على دراسته ودراسة شريعته الخالدة ؟ .

و إذا كان العلماء الذين أنفقوا حياتهم فى تعلم اللغة وفهم أسرار القرآن لم يصلوا بعد الى بغيتهم فى خدمة القرآن والكشف عن أسراره ، فهل يظن أن سنتين أو أربعا يقضيها الإنسان فى دراسة القرآن ولغته وشريعته كافية لأن يصل الى ذلك ؟ .

إنها إذن الحملة المدبرة تحت اسم توحيد التعليم للقضاء على الدراسات الإسلامية الأصيلة التى امتاز بها الأزهر ، وامتازت بها مصر فى العالم الإسلامى . . ومع ذلك فأنى لا أفهم معنى توحيد التعليم الذى يقصدونه ؟ ؟ ان فى وزارة التربية أنواعا مختلفة من التعليم بعد المرحلة الابتدائية ، فعندها التعليم التجارى والصناعى والزراعى المتوسط فوق التعليم العلمى البحت فى المدارس الثانوية . فلماذا لا يلغون كل هذا ويوحدون التعليم ؟ ؟ . أو أن العيب فقط أن يكون هناك تعليم دينى يبدأ مع الطالب بحفظ كتاب الله من صغره . . . ؟ على أنى أحب أن يكون مفهوما أن الطالب حين يدخل الأزهر يكون فوق مستوى حامل الشهادة الابتدائية من المدارس مع امتيازه بحفظ القرآن ، فلا مجال اذن للقول بتوحيد المرحلة الابتدائية لأنها فعلا شبه موحدة . . فأى شىء اذن يأخذونه على الأزهر اذا اختص بالتوسع فى دراسة الدين واللغة ، كما تتوسع أنواع التعليم الفنى : الزراعى أو الصناعى أو التجارى : كل فى ناحيته ؟ ؟

ومن عجب أن الدكتور طه حسين نفسه أقام الدنيا وأقعدها حينما علم وهو فى أوربا أن هناك نية فى الوزارة لإلغاء قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو قسم حديث لم يبلغ عمره ربع قرن . . . ودافع عنه الدكتور دفاع المستميت ، وأخذ يرسل المقالات من أوربا يحمل حملة عنيفة على الذين فكروا فى ذلك . . متلمسا الأعذار المختلفة لعدم إنتاج هذا القسم ، فكيف يستساغ منه إذن أن يحمل هو نفسه معول الهدم لأقدم جامعة علمية فى العالم ؟ ولمصلحة من يحمل الدكتور معوله ؟ إنه ليس فى مصلحة مصر مطلقا . . فالمصريون ـ وقادة الثورة فى مقدمتهم ـ يعلمون مقدار ما تحتله مصر فى قلوب المسلمين لأنها موطن الأزهر ، وليس من مصلحة مصر أن تبدد هذه الثروة من حب المسلمين لها فى هذا الوقت بالذات الذى يتحفز فيه الغرب لأضعاف مصر والقضاء على نفوذها

مكتبتنا العربية

ومكانتها فى الشرق والغرب، كما تحدثت بذلك صحفهم دون حياء . . نعم إن مصر الآن فى مفترق الطرق ، وقادتها يخطون لها سياسة جديدة تقوم على التعاون والتكافل مع الشرق والمسلمين جميعا ، حتى تتحرر من نفوذ الغرب وسيطرته ، ومن أجل هذا حنق الغرب وثار ساسته وهاجت صحفه ، تدعو إلى القضاء على هذه الخطوة الجريئة، والسياسة الجديدة التى تنتهجها مصر . . . لتعيد فرض وصايتها عليها . . . فهل كان من اللياقة واللباقة ـ يا دكتور ـ أن تثير هذه الزوبعة الآن ، وتدخل فى روع المسلمين أن جامعتهم الكبرى مهددة بالفناء فى هذا العهد المبارك الذى يعمل على تكتيل القوى الإسلامية وجمع القلوب المؤمنة حول مصر وسياستها الرشيدة .

إن مجرد إثارة هذا الموضوع فى هذه الفترة الحساسة من تاريخ مصر الثورة خطيئة فى حق مصر لا تغتفر ، وخطيئة فى حق الركب الإسلامى الآخذ فى التكتل والتجمع ، وتفريق للجهود المبذولة فى هذا السبيل، ومحاولة لأثارة الظنون السيئة حول القائمين بالأمر، وهم أبعد الناس عن مثل هذه الظنون، ولا أدرى كيف سمح له بهذا كله ، ولمصلحة من ؟ !

إن الذى سيستفيد من هذه الخطوة الهدامة التى دعا إليها الدكتور ، والتى بلبلت الأفكار وسممتها، إنما هم المستعمرون وطليعتهم من المبشرين ، ولا أريد أن أسىء الظن بالدكتور فأقول : بلغنا من سوء النية والتدبير ـ إلى الحد الذى تقدم فيه هذه المأثرة الجليلة للمستعمرين والمبشرين ! ! !

إن جهودهم فى الشرق ـ من يوم أن وطئت أقدامهم الملعونة أرض هذا الشرق الطيبة ـ تركزت كلها حول هدف واحد، هو القضاء على معنوياتنا ومصادر قوتنا الروحية حتى يتمكنوا من رقابنا بكل سهولة .

ولقد جاءوا إلى الشرق بروحهم الصليبية ، لينتقموا من هزيمتهم وانحدارهم أمام صلاح الدين وغيره من قواد المسلمين ، حتى أنهم لم يستطيعوا ـ برغم لباقتهم ـ أن يخفوا هذه الروح السيئة الانتقامية ، فوقف قائدهم « اللنبى » يوم أن انتصر على الأتراك ودخل القدس يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية ، وأرسل رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » برقية إليه يهنئه بانتصار الحروب الصليبية، ويذهب قائد آخر إلى قبر البطل « صلاح الدين » بعد أن دخل الشام يقول : نحن هنا يا صلاح الدين ! ! فما معنى هذا كله عندك يا دكتور ، وأنت سيد العارفين الفاهمين ؟ ؟ ! !

مكتبتنا العربية

لقد لمس المستعمرون وطلائعهم من المبشرين أن الأزهر ـ وهو القائم على حفظ القرآن ولغته وشريعته الخالدة ـ يبعثر جهودهم ، ويبدد آمالهم ، ويقف أمام أهدافهم أينما يذهبون ، فكانوا يعلنون مضطرين بعد أن يبلغ الإفلاس منهم مبلغه : أنه ما دام القرآن والأزهر القائم عليه فلن يبلغوا ما يريدون من تمكين أقدامهم فى الشرق .

ولعل الدكتور يعلم أمر هذا المؤتمر الذى عقده المبشرون فى أول هذا القرن ، والذى تمخض فولد الجامعة الأمريكية فى مصر . . لقد قرر المؤتمرون أن الأزهر يعتبر أهم عائق فى وجه التبشير ، وبالتالى فى وجه الاستعمار فى مصر والعالم الإسلامى . وإذن فلا بد من مؤسسة علمية ثابتة يبثون فيها أفكارهم ، ويطبعون جيلا من المسلمين بطابعهم ، حتى يقف هذا الجيل أمام الثقافة الإسلامية ويشكك فيها ، وحينئذ يبلغون ما يريدون .

ولعل الدكتور يذكر بجانب هذا أن مؤتمر المبشرين الذى عقد بالقدس حوالى سنة ١٩٢٧ ، تحدث عن أثر التبشير فى المسلمين ، وحينما وقف أحدهم وأعلن إفلاسهم نظرا لضآلة الذين تنصروا من المسلمين هب « زويمر » يدافع عن جهودهم ، ويعلن لهم أنهم ـ وإن لم يبلغوا ما يريدون من تنصير عدد كبير من المسلمين ـ قد بلغوا ما يريدون من تشكيك كثير منهم فى دينهم وشريعتهم . وهذا عندهم يوازى النفقات الضخمة التى بذلت للتبشير .

فهى حملة إذن على الإسلام وعلى المسلمين يعرفها كل مسلم بصير ويدركها ، ولا بد للمسلمين من أن يتسلحوا ويستعدوا لها . فهل من حسن التسلح والاستعداد لمقابلة هؤلاء الباغين أن نقضى على الأزهر وعلى الدراسات الإسلامية التى امتاز بها . . . وكيف ، وهذه أمنيتهم ؟؟ .

* * *

إنى لا زلت أذكر ما قاله السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى إحدى المناسبات من أن الاستعمار كان يركز هجومه على ناحيتين : الأزهر ، والجيش ، حتى يقضى على القوة الروحية والقوة المادية فى البلاد ، ويقطع الصلة بين مصر والعالم الإسلامى عن طريق القضاء على الأزهر ، فما بال الدكتور يسارع فى الخيرات يقدمها ، لا لمصر ولا للعالم الإسلامى ، ولكن للمستعمرين وطلائعهم من المبشرين ! .

مكتبتنا العربية

وإلا فهل يغيب عنك ـ وأنت واسع الاطلاع والتفكير ـ أنك بدعوتك هذه تسبقهم الى ما يريدون من شر وكيد بمصر والشرق .

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

* * *

إننا لا نلق القول جزافا حين نقول : إن الكيد للا زهر هو كيد للمسلمين فى جميع بقاع الأرض ، اذ أن الأزهر معقد آمالهم ، ومن منبعه يستقون التوجيه الروحى ، والوعى العلمى . ونظرة واحدة الى الطلاب الوافدين عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامى تجعلك مؤمنا بما نقول .

وهذه هى احصائية شبه رسمية عن الطلاب الوافدين على الأزهر من خارج مصر .

٣٥٠٠ طالب من السودان .

٥٤٨ طالبا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن .

٣٣٦ « من الحبشة وأريتريا والصومال .

٣٢٢ « من تونس والجزائر ومراكش وليبيا .

٨٣ « من ساحل الذهب وساحل العاج والسودان الفرنسى والسنغال ونيجريا .

٥٢ « من تركيا ويوغسلافيا وألبانيا وتركستان وروسيا . وواحد من هولندا .

٦٧ « من أندونيسيا وسومطرة والفلبين وبورما .

٢٣ « من جنوب أفريقيا وأوغندا ومدغشقر .

٢٠ « من العراق والأكراد والكويت .

٩ طلاب من الحجاز والبحرين والرياض .

٢٩ طالبا من اليمن والمحميات وعدن .

٣٧ « من الأفغان والهند وباكستان وسيلان .

٤ طلاب من الصين .

٢٤ طالبا من أواسط افريقيا (بحيرة تشاد) .

ومجموع هؤلاء الطلاب أكثر من خمسة آلاف طالب من مختلف البلاد كما رأيت ، يتعلمون فى الأزهر ويعودون الى بلادهم رسلا صادقة يدينون للأزهر ولمصر بالفضل ، ويظلون متعلقين بمنبع ثقافتهم وريهم العلمى ، فأية جامعة فى مصر والعالم الإسلامى كله كالأزهر يتخذ مركز الصدارة والإشعاع العلمى هكذا منذ أكثر من ألف عام .

* * *

مكتبتنا العربية

وهناك ناحية هامة أخرى تدل على ما يؤمله المسلمون فى الأزهر ، فأدارته تتلقى من جميع أنحاء العالم الإسلامى كثيرا من الرسائل التى يطلب فيها مرسلوها إيفاد علماء لهم لتعليمهم الدين واللغة العربية ، وقد استطاع الأزهر أن يلبى كثيرا من هذه الرجاوات فأرسل رجاله للمملكة السعودية والكويت والعراق وسوريا ولبنان وليبيا والسودان والملايو والصومال وأريتريا عدا المركزين الثقافيين فى لندن وواشنطن، وتعد الآن بعثات إلى الهند والفلبين وأندنوسيا ونيجريا والسنغال والفلبين وجنوب أفريقيا .

فأى مجد لمصر كهذا المجد ، وأى فخار تكسبه دولة كهذا الفخار الذى كسبته وتكسبه مصر عن طريق الأزهر ؟؟ومع ذلك تسلط عليه معولك ـ يادكتور ـ لتقضى عليه ! ؟ يا للهول ! ! ويا للخسارة ! .

وإن الأزهر الذى أمد مصر موطنه بالعلم مئات السنين لهو الذى يمدها الآن بالآلاف من أبنائه فى كل وزارة ومصلحة ومدينة وقرية ، ومنهم يستمد كل انسان فى مصر ثقافته ومعلوماته الدينية، ولهم الفضل فى الوقوف أمام تيار الغرب الأباحى الإلحادى، يحدون منه، ويكسرون من شرته، ولولاهم لما بقى لمصر هذه البقية من الدين والتقاليد الصالحة. ولعل هذا هو سر الحملة على الأزهر كما قدمنا ، ولكن فليتفلقوا . فهو فى حراسة الله والصالحين من المسلمين .

ومن عجب أن الدكتور طه يعلن فى غير مواربة أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وينتقص بذلك من مكانتهم العلمية أمام العالم الإسلامى كله، وقد نسى أنه ـ وهو وزير ـ قد عين الآلاف من علماء الأزهر فى وزارة المعارف، وشهد لهم بالجدارة العلمية والتفوق، فهل استعان بهم الدكتور فى التعليم الابتدائى والثانوى ، وشهد لهم بذلك وهم ناقصو الثقافة لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولا يعلمون كما يعلم الناس ؟ ! ! إنهم فى كل مدرسة ومعهد فى أنحاء مصر مثل صادقة فى الجد والتفوق العلمى والخلقى . . فهل وصلوا إلى ذلك فى أوساطهم العلمية وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟! .

إنى أعرف أزهريين فى وزارات الداخلية والأشغال والزراعة والشئون والدفاع والإرشاد ، يتمتعون بثقة رؤسائهم وتقديرهم لكفاياتهم ، فهل احتلوا هذه المكانة بين زملائهم الجامعيين عفوا وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟! .

إنى ـ والله ـ لفى غاية الأسى أن يلقى الجهد والعرق الذى يبذله الأزهريون من شبابهم

مكتبتنا العربية

وتلق ثقافتهم الدينيـــة العربية الممتـازة ـ وهى الثقافة القومية الأصيلة بحق ـ هذا الجحود والنـكران ! .

إننى والله لفى غاية الأسى ـ ويشاركنى فى ذلك الملايين من المسلمين فى مصر وخارج مصر ـ أن يضطر الأزهر للدفاع عن وجوده ـ وهو العملاق الحى الذى أبقى لمصر حيويتها عبر القرون المـاضية ـ فى الوقت الذى ينتظر فيه أن يمكن له فى أداء رسالته فى سبيل مصر والعروبة والإسلام .

وماذا أقول ـ وقد طال القول ـ ألم يكن هناك فى المجتمع المصرى ما يستحق أن يوجه الدكتور طه اليه جهوده الاصلاحية . . أين موقفه من الإباحية والإلحـاد فى الجامعة ؟ ولمـاذا سكت عن ذلك كله مع أنه طولب بالكلام ؟ ولمـاذا لم يحمل على الميوعة والخلاعة والتخنث فى مجتمعاتنا حتى نطهرها من عوامل الانحلال ونعدها لدور القوة والعزة ، لنبلغ ماتريد كأمة حية . . أو أن ذلك شىء لا يتفق وفـكرة الدكتور من أن مصر يجب أن تساير الغرب فى كل شىء . . حتى فى مجونها وخلاعتها ورقصاتها ! ! وإلا كانت متأخرة كالأزهريين ؟ ؟ وماذا أقول ، أأقول كما يقول بعض الناس :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولـكنه ضحـك كالبكا ؟

لا ! . إننى أريد أن أقول : إذا كان أبو الطيب قد دمغ مصر بهذا البيت من الشعر ، وظل المتألمون يرددونه كلما نزفت نفوسهم بالآلام ، فأنى أعتقد أن فجر عهد جديد قد طلع ، وأن المقاييس التى كانت تتغلب علينا سابقا يجب أن نتغلب عليها الآن ونلتمس بدلها مقاييس أخرى من التفاؤل والجد والعزم . وفى مصر الآن رجال يحاولون ما وسعهم الجهد أن يخلقوا مصر خلقا جديدا ، وأن يمكنوا لها فى الأرض ، ويقووا ما بينها وبين الأمم الإسلامية من روابط ، وهم مدركون ما كان يدبره الاستعمار للقضاء على الجيش وعلى الأزهر ، والجيش الآن يأخذ مكانه فى الميدان قويا عتيدا ، يعتز به كل مصرى وعربى ومسلم ، ولا بد أن الأزهر سيأخـذ من عناية هؤلاء الرجال المخلصين العاملين ما أخذه الجيش . . حتى تقف مصر بقوتها الروحيـة والمـادية أمام سطوات الغرب وتزوات إسرائيل ، تستعيد مجدها وترد للعالم الإسلامى اعتباره .

تلك هى آمالى برغم هذه الفقاعات . . والله هو الحافظ والمعين ؟

عبد المنعم النمر

مكتبتنا العربية

خصوم الازهر

لو لم يكن الأزهر فى مصر قبل اليوم لوجب عليها فى مطالع نهضتها الحاضرة ، ووجب على أولى الرأى فيها « ومنهم الدكتور طه حسين » أن ينادوا جميعا بضرورة وجود الأزهر لنا وللمسلمين .

فإذا كانت مصر سبقت إلى أنشاء هذا المعهد واحتضانه منذ القدم ، وسبقت بفضله الى مكان الزعامة بين شعوب الشرق ، وأصبح الأزهر فيها شريانا رئيسيا تنبض فيه الحياة الروحية ، وتنبعث منه فى الأقطار الإسلامية ، حتى صارت كتلة متجانسة ، وتعاطفت بالأخاء فى العروبة وبالصلة الثقافية ، وبالتعارف والتودد من طريق الأزهر وفى ظله ورحابه ، وفى ضوئه هنا واشعاعه هناك . أذا كانت مصر — بفضل أزهرها — بالغة مابلغت من المجد غير مزاحمة فيه ، ومن اليقظة والنهوض والمعرفة غير منكور عليها ذلك ، فمنذا الذى يضيق بالأزهر الآن أو يخاصمه فى جهرة من العداء ، والحاح فى العدوان عليه ، واسراف فى الغض من رسالته ، والتهوين من شأنه على غرة ، ولغير مناسبة !؟ .

لم يكن الأزهر بحاجة الى التعريف ، ولم تكن رسالة الأزهر غائبة عن مدارك المنصفين وغير المنصفين ، ولكن الخصومة الشخصية تذهب بالروية ، وتدفع الى التحيف ، وتستبيح ما لا يباح .

* * *

كانت مكة والمدينة مبعث الدعوة الاسلامية ، والمشرق الأول للحضارة التى هتف بها القرآن ، ثم كان الأزهر بعدهما مذياعا جهيرا لدعوة الإسلام ، تصاعدت فوق مآذنه صيحات الهداية الى الدين والخلق ، وانبثقت من منافذه اشراقة الإصلاح على مارسم الله لعباده ، فكان للأزهر نصيب راجح فى التوجيه ، حتى أصبح الشرق وضاء بمعارفه ورشده : فى السياسة ، والحكم ، والتعمير ، يوم كان الغرب قاتم الجنبات ، عابس الأفق .

والازهر القديم سبق النظم الحديثة ، ففتح أبوابه لكل قاصد ، واتسع لمن ينطق بالعربية أو بالعجمى ، وهرع اليه من أبناء البيوتات من عرفوا أن المجد لا يقوم على غير العلم ولا يتم الا بالثقافة ، وآوى اليه من الفقراء من قست عليهم الأيام ، وجنح اليه كثير من ذوى العاهات المؤفين

مكتبتنا العربية

الذين لولا الازهر لظلوا رابضين فى قراهم، والذين لا يتسع لهم التعليم المدنى حتى اليوم ، ومع كثرة أنصاره والدعاة اليه .

والأزهر القديم لم يغفل عن مجاراة النهضات ، بل كان مثار الدعوة الوطنية طوال حياته ، وكان آخذا بنصيبه من الثقافات الحديثة، ومع أن الاستعمار حاربه فى غير هوادة، وضيق عليه السبل ، ووقف فى وجه أبنائه ، وصورهم فى صورة المتخلفين عن الركب المنقطعين عن مجاراة الثقافة فى تطورها ، وعن مواصلة النشاط الأدبى فى آفاقه ، فقد برهن الأزهر فى كل مواقفه العلمية على براءته من شوائبهم المختلقة ، وزاحم فى المجتمع الجديد بنشاطه وتفوقه .

* * *

ولو أن الأزهر عكف على الدراسات الدينية والعربية وحدهما ، ولم يأخذ بالعلوم المدنية التى أخذ بها، لكان تخصصه فى الدين واللغة كافيا له فى المضمار العلمى، وكان حسبه أن يتكفل بالتهذيب الدينى ، وحراسته للآداب والعقيدة ، ومقاومته للنزعات المنحرفة والمبادئ الهدامة ، والتحلل من التقاليد التى تحفظ لمصر كيانها الأدبى ، ولم يكن الأزهر يعاب فى هذا عند من يقدرون رسالته ، و يقدرون مصلحة الأمة فى التوجيه إلى دينها ، دون أن يشغل الأزهر نفسه بالدراسة المدنية .

ولكن الأزهر لم يعكف على دراسته الأولى ، بل أفسح صدره للكثير من المواد ولكثير من النشاط العلمى والرياضى وسواهما مما تقوم عليه المدارس ، وهو مع ذلك جاد فى دعوته الدينية غاية الجد ، لم يشغله عنها شاغل ، ولكن أناسا منا يغالطون فى الواقع ، وينسون أن الأزهر دخل يوما فى مسابقة أدبية مع الجامعة ودار العلوم ، فأخفقت الجامعة ، ونجحت دار العلوم ، وتفوق الأزهر إلى مرتبة الأولية بامتياز .

يعلمون هذا كله ، و يتناسونه ، و يصيحون بالأزهر أن يحاكى القساوسة فى أوربا ، ليكون عالمه طبيبا ، أو مهندسا ، أو نحوهما . وهذه شهوة خيالية يراد من ذكرها مجرد الخدش والانتقاص، فليس هناك طبيب حاذق يمكنه أن يكون عالما إسلاميا متخصصا ، وليس هناك عالم يمكنه أن يهضم الهندسة أو غيرها مع الإلمام بالدراسة الإسلامية على النحو المطلوب منه ، وأصحاب هذا الرأى يشذون عن سياسة التعليم العالى وما يقضى به من التفرغ لما يستطيعونه .

فضلا عن أن مصر والمسلمين بحاجة إلى علم العالم ، وهندسة المهندس ، وطب

مكتبتنا العربية

الطبيب ، وليس هناك ما يعيب المهندس أو الطبيب إذا لم يكن عالما إسلاميا ، فكيف يعيب أولئك الدعاة على عالم الأزهر ألا يكون طبيبا أو مهندسا ؟ ! .

أليست هذه الدعوة فكرة فجة ، أو هى مغالطة مقصودة ، وخصومة جامحة ؟

صاحب هذه الدعوة أديب كبير و وزير سابق ، وله مواقف عدة يشهد الناس ببعضها ، ويشهدون على بعضها . ومن سوابقه الحميدة أنه ابتدع مجانية التعليم المدنى ليقاوم الجهل فى محيط الأمة .

فهل يتفق مع تعميم التعليم أن ينادى بأغلاق الأزهر وطمس التعليم الدينى ؟ ؟

وهل هو حفيظ على مجد مصر إذا سعى فى إغلاق الأزهر ، وقطع هذا العصب الذى يكبح الامة عن الجموح وعن مطاوعة الغواية ؟ ؟

وهل يغيب عن دكتورنا أن هذه دعاية إلى هجر القرآن والرجوع بالأمة الى الوراء ، وصرفها الى الحياة المادية التى تذهب بكل معنى من المعانى الروحية ، وتدفع بنا الى مواقف يأباها الطابع المصرى ، ولا تتفق اطلاقا مع أهداف الثورة فى خلق جيل جديد وتكوين مجتمع صالح ؟ ؟

* * *

فى الجامعة نزعة خطيرة يجهر بها بعض الشباب تقليدا للملاحدة الغربيين الذين يطيب لهم أن يغمزوا فى الدين و يتخللوا من تعاليمه وآدابه .

فهل لا يرى دكتورنا أن يصرف عنايته ويسخر قلمه فى كلمة ناصحة لأولئك الفتيان المقلدين ؟ ؟

معقول أن يخاصم الأزهر و يحاربه متعصبون من غير المسلمين ، ومعقول أن يخاصم الأزهر سياسيون مستعمرون ، ومعقول أن يخاصم الأزهر بعض المحسوبين عليه ممن لفظهم الأزهر أو عاقبهم على سوء سلوكهم ! ! !

لأن أولئك وهؤلاء يرون هذا المعهد عقبة شامخة فى سبيلهم ، و يرونه كاشفا لتدبيرهم ، ومقاوما لخداعهم . ولكن غير المعقول وغير المستساغ أن يخاصمه مسلم من المسلمين ، فضلا عن أن يكون مسلما أزهريا فى نشأته وفى معظم ثقافته .

الحق الصراح — يا دكتور طه حسين — أنك خسارة فى هذا العناد . والله يهدينا و يهديك ٩

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

الأزهر الشريف أول مسجد أسس بمدينة القاهرة بعد فتح الدولة الفاطمية لمصر سنة ٣٥٨ هـ — ٩٦٦ م ، وبنائها القاهرة واتخاذها عاصمة لها ، وقد ظل الأزهر طوال أيام حياته معين علم ونور وعرفان ، يشع منه نور الشريعة المطهرة على اختلاف المذاهب فيها ، وتدرس فيه لغة يعرب وقحطان وآدابها ، فحافظ عليها ، وبلغها للأمة جيلا بعد جيل ، وأمد العالم الإسلامى كله بحاجاته الدينية واللغوية ، وهو فى كل ذلك راسخ القواعد شامخ البنيان ، يؤمه الطلاب من كل فج ، ليتفقهوا فى الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد لعب فى سياسة العالم الإسلامى أدوارا كثيرة من أخطر الأدوار التى عرفها التاريخ ، سواء كانت الخلافة الإسلامية فى مصر أو فى غيرها ، ولقد كان لأهله الكلمة المسموعة ، والنفوذ التام ، حتى أن بعض علمائه باع أمير زمانه لأنه من المماليك .

وقد كان الأزهر دائما فى الطليعة ، يحمى حمى الأمة ، ويدفع عنها الخطوب ، ويقف دائما فى الصف الأول ذيادا عن كيان الأمة ودفاعا عنها وعن دينها ، حتى كانت تحسب الملوك حسابه . وقد زار الخليفة العثمانى مصر فى زمن الخديوى اسماعيل وحضر مجلسه علماء الأزهر ، فتقدم إليه واحد منهم — فى جرأة الأتقياء وعزة العلماء — ووعظه ونصحه بنصيحة الإسلام ، وتكلم معه كثيرا فى سياسة الأمم والمحافظه عليها وعمل الخير لها ، حتى ظن الخديوى اسماعيل أن الخليفة سيعزله لجرأة العلماء عليه ، ولكن الخليفة كان أحصف رأيا ، وأعز مقاما ، فشكر هذا العالم وشكر العلماء معه . وهكذا كان الأزهر وعلماؤه فى أدوار حياتهم . وقد قام الأزهر بدور سياسى خطير فى زمن الحملة الفرنسية بزعامة شيخ المشايخ إذ ذاك الشيخ عبد الله الشرقاوى رضى الله عنه .

أما ثورة سنة ١٩١٩ فلم تكد تبزغ شمسها على يد رجالات مصر المخلصين حتى خب فيها الأزهر ووضع ، وأغار وأنجد فى سبيل قضية البلاد ورفعة شأنها ودفع كابوس الاستعمار عنها ، لتخلص البلاد لأهلها ، ينتفعون بخيرها ، ويتمتعون بمتعها الجميلة الحسنة ، فكان علماؤه وطلابه يخطبون فى كل واد ، وينتشرون فى جميع البلاد ليناشروا على الناس فضائح

مكتبتنا العربية

المستعمرين وأكلهم تراث الأمة أكلا لما ، وحبهم لمال البلاد حبا جما ، فكانوا يبتزونه ويحرمون منه أهل الوطن وأصحابه ، ويفرضون على الناس قيودا لا قبل لهم بها ، ويقفون فى وجه كل مصلح ، وكانت المظاهرات تخرج من الأزهر منظمة لتذهب إلى السفارات وتنادى بسقوط المستعمرين ، وتناشد سفراء الدول أن يشرحوا لدولهم مخازى الإنجليز التى كانوا يرتكبونها فى مصر ، وكانوا يقمعون المظاهرات بالقوة الغاشمة ، ويقتلون المتظاهرين البرءاء الذين ينادون برفعة بلادهم وتركها لهم ، وكان تلاميذ المدارس وطلاب المدارس العليا ينضمون إلى أهل الأزهر فى المظاهرات ، وقد قامت الأمة عن بكرة أبيها ـ بفضل الأزهر وإرشاده ـ تتابع زعماءها تحمى ظهورهم ، ليدافعوا عن حقوقها ، أو يستخلصوها من يدى غاصبيها وأنوفهم فى الرغام ، وقد عمل السادة العلماء حفظهم الله منشورا أرسلوا به إلى السفارة الإنكليزية وإلى جميع السفارات ، ونشروه على الأمة فى الصحف والمجلات جاء فيه ما معناه : ان الاستقلال حق من حقوق الأمم لا يصح لأى أمة أن تنتزعه من أمة أخرى ، مهما قل عددها وضعفت مواردها ، وقد خلق الله الأمم أحرارا ، وملكها شأن نفسها ، وجعل التعاهد بينها تعاهد الأنداد الأحرار الذين يعملون لمصلحة بلادهم ورفع مستواها فى الداخل والخارج ، ثم أهاب بالإنجليز أن يعرفوا تلك الحقيقة ، وأن يتركوا البلاد لأربابها يشربون ماءها ويستظلون بسمائها ويستثمرون خيراتها الخ ما جاء فى البيان .

وقد كان لهذا البيان صدى كبير فى جميع دول العالم ، فأقلق بال الإنجليز وأضل أعمالهم ، إذ كان الأزهر وأهلوه حملة مشاعل الوطنية يمشون بها أمام الزعماء وخلفهم ، وكان للأزهر المقام المرموق فى الدول الذى يجعل بيانه فوق كل اعتبار ويحسب له ألف حساب .

وكان الأزهر المعقل الوحيد لخطباء الثورة من الزعماء وغيرهم من جميع النواحى والبلاد ، فكانوا يجتمعون فيه كل ليلة ، ويؤمه الناس من كل صوب ، يستمعون للخطباء وينصتون إليهم فى حرص ، وهم يشرحون مساوئ الانكليز ومخازيهم ، ويبثون كرههم إذ ذاك فى قلوب أبناء الأمة ، إذ كانوا يتحكمون فيهم ويحرمونهم خير بلادهم ، حتى ضاقت الإنجليز ذرعا بالأزهر ، وحاولت بشتى الحيل أن تمنع الاجتماع فى الأزهر ، فخاب أملها وطاش سهمها ، ولم تستطع ذلك رغم ما بذلته فى هذا السبيل من سد أفواه الطرق الموصلة للأزهر والشوارع التى تنتهى إليه ، ولما لم يجدهم ذلك نفعا قصدوا الى نفس الأبواب فأغلقوا بعضها وأبقوا بعضها مفتوحا ، وجعلوا على جميع الأبواب حراسا منهم يمنعون الداخل من الدخول ويتركون الخارج ليخرج ، ولكنهم مع ذلك كانوا يرون الناس منصرفين من

مكتبتنا العربية

الأزهر بعد سماعهم الخطابة أفواجا أفواجا ، فكان ذلك يغيظهم ويحرق قلوبهم، فأغلقوا جميع الأبواب إلا بابا واحدا وهو الباب الكبير المسمى (باب المزينين) وأجلسوا الحراس منهم أمامه يمنعون الناس من الدخول، ولكنهم نسوا بابا صغيرا لم يكونوا يعرفونه ولا يعرفه أذنابهم، لأنه كان بعيدا عن الأنظار ، إذ كان صغيرا ويوصل إليه من أزقه ضيقة يتصل بعضها ببعض، ويسمى «باب زاوية العميان» أو «باب الجوهرية» لأن به قبر جوهر القنبقانى الذى أنشأ مدرسة رواق الجوهرية فى أوائل القرن التاسع الهجرى ودفن بها سنة ٧٤٤هـ، فسمى الباب باب الجوهرية لذلك، ولما كان بجوار زاوية كانت للعميان اشتهر بباب زاوية العميان ، فكان الطلبة الأزهريون يقفون عند أبواب الأزهر الأخرى المغلقة ويرشدون الذين يؤمون الأزهر الى باب زاوية العميان ، وكانوا فى بعض الأحيان يضعون أمارات لهذا الباب من تبن أو جير يتبعها الماشى حتى يصل الى هذا الباب فيدخل .

وأنه لمن المضحك أن الجنود الانكليز الذين كانوا يحرسون الأبواب علقت بأذهانهم كلمة العميان، وكانوا يظنون أن الطلاب يقولونها لصرف الناس عن دخول الأزهر، فكانوا هم كذلك يقولون لمن جاء ليدخل الأزهر: إميان إميان، يعنون زاوية العميان ظنا منهم أن ذلك يصرف الناس عن الأزهر، وظل الحال هكذا حقبة طويلة، وهم مع منعهم الناس من الدخول يرونهم عند الخروج كثيرين جدا ، فقلقوا لذلك قلقا شديدا ، حتى أرشدهم أذنابهم من السماسرة الى باب زاوية العميان فأغلقوه وأحكموا رتاجه وأجلسوا الحراس أمامه ، وما كان هذا ليصد المصريين عن أزهرهم أو يفت فى عضدهم، فذهبوا الى شارع ضيق شرق الأزهر، ومكانه الآن شرق كلية الشريعة : يسمى (درب الحنفة) وبينه وبين الأزهر بيوت كثيرة فى مسافة غير قصيرة ، فاستأذنوا أصحابها أن يدخل الناس من أبواب تلك البيوت ويمروا على السقوف حتى يصلوا الى سطح الأزهر ، وهناك ينزلون الى استماع الخطابة ، فأجاب أصحاب البيوت فورا ، إذ كان المصريون كلهم يدا واحدة فى حرب المستعمر ، ولما كانت السقوف بعضها مرتفع وبعضها منخفض وقف الطلاب عند السطوح المرتفعة ليرفعوا إليها من الناس من يكون على السطوح المنخفضة، ووقف طلاب آخرون عند السطوح المنخفضة ليتلقوا من يكونون على السطوح المرتفعة .

وهكذا ظل الأزهر علماؤه وطلابه يخدمون الحركة الوطنية بكل ما أوتوا من قوة وأعطوا من مهارة ، وكان الزعماء يفدون إلى الأزهر ليخطبوا فيه ، فخطب سعد باشا زغلول وأبو شادى وعبد اللطيف الصوفانى، وغيرهم كثير ، وكان يخطب فيه شباب الجامعة

مكتبتنا العربية

المصرية وكثير من الموظفين الكبار ، وكانت الخطابة لا تنقطع منه لا ليلا ولا نهارا ، وكان الأزهر ينظم المظاهرات من حين إلى آخر لتجوب الشوارع وبخاصة شوارع السفارات تهتف لمصر وباسم مصر ، حتى أن حكمدار العاصمة ، وكان انكليزيا مشى فى بعض المظاهرات ، وكانت تضم طلاب الأزهر وطلاب الجامعة والمدارس وكثيرا من الأهالى ، واخترقت المظاهرة شوارع كثيرة حتى وصلت إلى شارع العباسية ، فأراد المتظاهرون أن يمشوا من جهة تسمى جهة الحسينية ، فسأل الحكمدار عن الشارع الذى يريدون المرور فيه ، فلما أخبر بأنه « الحسينية » أبى كل الإباء أن يمر من هذا الشارع رغم الحاجة الكثيرة عليه والضمان له أن تمر المظاهرة سليمة لاشية فيها ، فزاده ذلك إصرارا ، وتبين بعد أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذا الشارع كان قد أذاق بعض الفرنسيين فى حملة نابليون العذاب الأليم ، فمنعه ذلك من عبوره .

ومن المظاهرات الأزهرية التى كان لها بين الناس دوى مشكور مظاهرة يسميها الأزهريون « مظاهرة المحكمة العليا الشرعية » إذ خرج الأزهريون من الأزهر الشريف إلى المحكمة العليا الشرعية بالحلمية ، وكان يحمل العلم فى هذه المظاهرة شاب جلد محب لوطنه مخلص فى حبه ، فقاد المظاهرة حتى وصلوا إلى المحكمة الشرعية فأخرجوا من كان فيها من القضاة والمتقاضين ، ثم خرجوا يقصدون إلى السفارات ، وبينما هم يتأهبون لذلك إذا بالجنود يحدقون بهم من كل جانب ، ففر من فر وبقى من بقى ، وظل حامل العلم واقفا فى مكانه لا يريم عنه ، حتى قصده الجنود ليأخذوا منه العلم ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا أسلمه ما دام فى عرق ينبض ، فأن شئتم أخذه فاقتلونى ، ولكن الجنود — وكانوا مصريين — ضنوا بأخيهم المصرى أن يقتلوه فساقوه بعلمه هو ومن أمسكوهم من المتظاهرين إلى المحافظة ، فدخلوها جميعا ومعهم صاحب العلم رافعا إياه حتى دخل به المحافظة وهو هكذا مرفوع ينادى بظلم الظالمين ، ثم مكثوا فى المحافظة أياما نقلوا بعدها إلى قسم الأزبكية ليحاكموا هناك أمام محكمة مؤلفة من إنكليز ومصريين فحكمت عليهم بغرامة .

وما أن علم بعض الأزهريين بذلك حتى جاءوا فدفعوا الغرامة عن كثير ، منهم صاحب العلم ، وبقى قليل من اخوانهم الأزهريين لم يدفعوا لهم ولم يدفعوا هم عن أنفسهم لضيق ذات يدهم ، فقصد صاحب العلم الى الأزهر فقوبل هناك مقابلة الفاتحين لصيانة العلم فى يده ، ولكنه قال لهم : كيف تهدأ نفوسنا ولنا اخوان فى السجن ضاقت مواردهم عن دفع الغرامة عنهم ، وفى الحال أخذ الأزهريون يكتتبون لإطلاق سراح اخوانهم .

وإنه لما يملأ النفس غبطة وسرورا أن بعض الأزهريين دفع كل ما معه ، ثم أخذته

مكتبتنا العربية

الحماسة والغيرة على اخوان له يجاهدون فى سبيل بلادهم ودينهم، فخلع جلبابه وألقى به الى صاحب العلم الذى كان يجمع التبرعات وقال له : بعه ، فنادى فى الحاضرين من يشترى هذا فاشتراه بعض الأزهريين بأول عطاء ، وأخذه ورده الى صاحبه ، فكان منظرا مؤثرا ، وفعلا جميلا حقا .

ثم ذهب الطلاب مع صاحب العلم بما جمعوه الى منزل المرحوم الشيخ مصطفى القاياتى، وكان علما من أعلام الثورة ، فعدوه أمامه فوجدوه ناقصا عما يجب أن يدفع لهؤلاء المواطنين المحبوسين لوطنيتهم ، فدفعه رحمه الله ولم يبت الإخوان الاوهم مثل اخوانهم أحرار لا سلطة لأحد عليهم .

هذا مما فعله الأزهر فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وهكذا الأزهر طول حياته يتصدر الحركات الإصلاحية و يبنيها ، و يلعب الأدوار التى تذكيها ، إذ أن علماءه وطلابه ينتشرون فى طول البلاد وعرضها ، ولهم قدرة عجيبة على إقناع الناس و إفهامهم .

والأزهر ـ شيخه وعلماؤه وطلابه فى ثورتنا الحاضرة وقاها الله وحفظ رجالها الأحرار المخلصين ـ كسابق عهده، ينشر فى الناس فضائل الثورة وما عملته للبلاد مما حفظ كرامتها وأعز مكانتها ، وها هى تلك البلاد مازالت فى حماستها لتسليح جيشنا المظفر وقاه الله وأهلك عدوه .

وها هم هؤلاء الوعاظ بالأزهر منتشرون فى البلاد كلها يحفزون الناس لتسليح الجيش ، ويبثون فى نفوسهم ذلك الشعور الحى بما يجب أن يقدم للجيش و يبذل فى سبيل تسليحه و إتمام عدته وعتاده .

وقد عمل لذلك مدير الوعظ منشورا بأمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسله لجميع الوعاظ ـ جاء فيه :

انكم تعلمون ما قام به السيد الرئيس جمال عبد الناصر من عمل رائع قوى أثار إعجاب الشرق والغرب بشأن تسليح الجيش المصرى ، إيمانا منه بأن عزة الأمة وكرامتها فى قوة جيشها واستعداده » الى أن قال : «لذلك نهيب بكم و بالسادة الوعاظ بمنطقتكم أن تسهموا بأموالكم وتعملوا دائبين لحفز الامة على المساهمة فى هذا المشروع الحيوى العظيم ، وقد عودتنا الأمة الكريمة المسارعة الى الاستجابة لكل عمل نافع يعود على الوطن بالخير والقوة والعزة» الى آخر ماجاء فى هذا المنشور ، فاستجابت الأمة والحمد لله ، و برهنت للعالم أجمع أنها أمة عزيزة قوية .

نسأل الله تعالى أن يصون لها رجالها الأكرمين رجال الثورة العاملين المخلصين، و يحفظ لها أزهرها الشريف معقل دينها ومحط آمالها و ينبوع الشريعة المطهرة، انه ولى التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؛

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

حول توحيد مراحل التعليم :

بيـــــان

يصدره معهد الاسكندرية الدينى

لمصلحة من تثار هذه الزوبعة ؟

يحلو لبعض الكاتبين فى مصر أن يثيروا فى الحين بعد الحين حول التعليم الدينى فى الأزهر زوبعة يخونهم التوفيق فى تخير المناسبات التى يحسن أن يتناولوا فيها بأقلامهم هذا النوع من التعليم الذى يقوم على الاضطلاع به وتشرف الأزهر الشريف ، معهد الإسلام الأكبر منذ أكثر من ألف سنة ، وهو يراوح الأحداث ويغاديها ، فما فلت له قناة ، ولا ألانت له صفـــاة .

والأزهر يعلم أنه لا يعيش فى حياته الطويلة عيشة مفروشة بالورود والرياحين ، ويعلم أنه لا يحيا حياة ممهدة خالية من البلايا والمحن والارصاد التى ترصد له ، بل هو يعلم أنه يعيش فى ميدان الجهاد والجلاد أبدا ما بقى فى الأرض إسلام ومسلمون ، وما بقى لهذا الإسلام وأولئك المسلمين أعداء يتربصون به وبهم الدوائر، ويبغونه ويبغونهم الغوائل، وهو يعلم أن هذه الصهيونية الفاجرة التى أتاح لها ملاحدة السياسيين وجهلاؤهم بالإسلام فرصة الحياة فى أولى القبلتين ، إن هى إلا لون من ألوان الصليبية الغربية ، تحركها العصبية البغيضة ضد الإسلام والمسلمين من وراء البحار ، ويلعب فى مسرحيتها الدولار الأمريكى والمكر السكسونى الخبيث الدور الأول والأخير ، وهو يعلم أن هذا الفجور الإجرامى الذى ترتكبه فرنسا فى المغرب الإسلامى إن هو إلا حلقة فى سلسلة التعصب الصليبى ضد الإسلام والمسلمين .

والأزهر يعلم بعد ذلك أن فى قلب بلاد الإسلام أقلاما عربية تكتب بمداد عبرى ووحى صهيونى ضد العرب والإسلام ، لتمهد الطريق أمام الاستعمار الفكرى والروحى والخلقى ، عوضا عن الاستعمار السياسى والاقتصادى الذى أصبح مفضوح السريرة مكشوف العورات .

مكتبتنا العربية

الأزهر يعلم كل ذلك ، ويعلم أنه هو المعهد الإسلامى المفرد فى شرق الأرض وغربها الذى أراده الله وأرادته الحياة الإسلامية أن يتخصص فى دراسة الإسلام ويكون الحفيظ على تراثه فى صورته الحقيقية التى نزل عليها من السماء ، والتى ربت الأمة العربية على العزة ، ونفخت فيها روح التجمع لحمل راية هذا الدين ، والانسياح بها فى أرض الله ، داعية إلى التوحيد والوحدة ، وإلى العدل والرحمة ، وإلى المساواة بين الأفراد والجماعات والأمم ، حتى لا تكون أمة هى أربى من أمة ، تتعالى عليها وتتحكم فى مصيرها ، وحتى يعيش الناس كما ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

ولقد قامت الأمة العربية بتبليغ هذه الرسالة ، وأدتها إلى الإنسانية خير قيام وأحسن أداء ، يوم أن كانت كلمتها مجتمعة ورايتها واحدة ، تعتز بالإسلام وتتعصب للحق ، لا تأخذها فى نصرته لومة لائم ، فلما تحولت عن سنن العزة الإسلامية ، وجهلت شريعة الإسلام ، واطرحت آدابه وتعاليمه ، وهان عليها أمره ، نفذت إلى قلبها سهام الفرقة ، فتفرقت إلى دويلات هزيلة ، وأمم ضعيفة مستضعفة ، وطمع فيها من لا يدفع عن نفسه .

والأزهر لا ينسى أنه مقصود بالكيد من الصليبية الغربية منذ أن اندحرت مغلوبة على أمرها مهزومة شر هزيمة حربية أمام القوة المسلحة التى كانت تقودها مصر ، إلى أن نفث (غلادستون) داهية بريطانيا ورئيس وزرائها عن حقده الدفين ضد الإسلام يوم وقف وفى يده المصحف وهو يقول : ما دام هذا القرآن بين المسلمين فلن يفلح استعمارنا فى الشرق ، إلى أن قال ذلك القائد المغرور اللورد اللنبى كلمته فى احتلال بيت المقدس .

عرف الأزهر كل هذا وعرفته معه مصر والعالم الإسلامى ، وعرفت مصر أن زعامتها الإسلامية معقود لواؤها بناصية الأزهر الذى انفرد برسالة لا يسد مسده فيها معهد فى أرض الله ، ولا يغنى غناءه فيها جامعة من الجامعات ، لا هذه المدارس والجامعات المدنية التى يوجد لها أمثال وأمثال فى جميع أرض الله تغنى عن الرحلة إليها والتتلمذ عليها ، فإذا اتجه العالم الإسلامى إلى مصر فهو يتجه إليها لأنها حاضنة الأزهر معهد الإسلام الأعظم ، لا يمارى فى ذلك إلا أصم لا يسمع ، أو جاهل لا يعلم ، أو حاقد لا يسلم .

مكتبتنا العربية

ومن المسلم به أنه لا توجد أمة من أمم الإسلام اليوم يحفظ فيها القرآن حفظاً كاملا سوى مصر ، ومن المسلم به أن حفظ القرآن لا يريده الإسلام لمجرد حفظ آياته وسوره ، ليقرأ فى الأفراح والمآتم ، وإنما يريد الإسلام من حفظ القرآن الكريم أن يدرس باعتباره دستور الحياة الإسلامية : فى عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وشئونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحياتها الخلقية والتربوية والفكرية والروحية ، فى الأسرة والمدرسة والمجتمع بين الأفراد والجماعات ، وإلى جانب ذلك السنة النبوية تفصل ما أجمل ، وتبين ما أبهم ، وتقيد ما أطلق ، وتشرح ما غمض على العقول والأفهام ، وهذا هو الفقه الاسلامى الذى استنبطته أئمة الإسلام من الأحكام .

ومن المسلم به أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائما على أساس من النظام الدراسى فى حلقات متتابعة ، تبدأ بحفظ القرآن واستظهاره والإحاطة بعلومه وقراءاته ، ثم بدراسة الفقه الإسلامى دراسة متدرجة تدرجا تصاعديا يتبع سن الطالب ونمو قواه الفكرية والروحية ، ثم دراسة التفسير والحديث دراسة تفصيلية يعرفها الاسلام فى تاريخ الأزهر ومدارس الاسلام من قبله ، ثم دراسة علم العقيدة ، وتشييد حججها التى تدفع عن قلوب المؤمنين شبه الملحدين ، ثم دراسة التاريخ الاسلامى والعالمى ، لمعرفة مامر على الحياة من أطوار ومظاهر ، ومن وراء ذلك كله دراسة اللغة العربية : نحوا وصرفا وبلاغة وأدبا فى مصادرها الواسعة ، ثم ما يعين على ذلك ويوسع مدارك المتعلم من شتى الفنون : من طبيعة ، وكيمياء وحياة ، وحساب ، وجبر ، وهندسة ، وجغرافيا .

هذا تصوير مجمل لمناهج الأزهر التى يدرسها والتى تقوم حياة أبنائه على إجادتها ، وقد شعر الأزهر أنه فى حاجة إلى دراسة لغات غير لغته العربية ، فأدخل فى برامج كلياته دراسة لغات شرقية وغربية ، ثم ألحت عليه الحاجة فبدأ يفكر فى إدخالها فى برامج المعاهد الابتدائية والثانوية ، ولم يشأ الأزهر الحديث أن يقصر تعليمه على الشبان والفتيان بل رأى أن يشرك الفتاة المسلمة فى هذه الثقافة الاسلامية ، فعزم على افتتاح دراسات يتيح فيها للفتاة المسلمة ما يتاح لأخيها وزميلها الفتى المسلم ، فماذا يراد من الأزهر وراء ذلك ؟ ! .

مكتبتنا العربية

يقول بعض الكاتبين : إن قساوسة الدين المسيحى فيهم أطباء ومهندسون وموسيقيون الخ ، ونحن لولا أننا نعلم أن هؤلاء الكتاب يغلب عليهم المزاح الساخر ساعة الجد الصارم لرددنا عليهم بأنفسهم واتخذناهم مثلا مضروبا ، فهم ليسوا أطباء ولا مهندسين ، ولا نعرف لهم صنعة يعيشون من وراثها سوى هذا الكلام يكتبونه فى الصحف ، فإذا تجمع صنعوا منه كتبا ، ولو اصطنع هؤلاء الجد فيما يكتبون لصوروا للناس حقيقة دراسة الاسلام وعلومه وصلتها بالحياة العملية الواقعية ، ثم إذا شاءوا — إن كانت لهم شجاعة — وازنوا بين هذه الدراسة وما يختارون .

ولو أراد هؤلاء الجد فيما يكتبون لما أقام كاتبهم الدنيا وأقعدها حينما ترامى إلى سمعه أن النية متجهة إلى توحيد معاهد تخريج مدرسى اللغة العربية فى المدارس ، وكان هذا بالطبع سيقضى على شعبة اللغة العربية فى كلية الآداب ، فقام يدافع عن هذه الشعبة ويذكر لها تاريخها الطويل العريض !! . وطلب إلى ولاة الأمور أن يحتفظوا بهذا التاريخ .

سبحان الله ! شعبة فى كلية قريبة العهد من جميع المعاصرين يكون لها فى أنفسكم هذا المكان ، والأزهر بتاريخه الحفيل لا يساوى عندكم إلا أن تحرضوا عليه ، وتغروا به ، ليهدم فى عزم صارم . ما هذا ؟ أكل هذا الجد الحازم والعمل القوى القاهر الذى يأخذ به قادة الثورة أنفسهم فى سبيل رفع شأن أمتهم وتطهيرها من الفساد والمفسدين لم يوقظ قلوبكم ولم يجعلكم تفيقون من سكرات الماضى — ألا يقول لنا هؤلاء الكاتبون لمصلحة من يكتب هذا الكلام فى هذا الوقت الذى تتداعى فيه الأمة إلى جمع الكلمة وإعداد العدة والقوة للعدو الذى يوشك أن يشتبك مع جيشنا الباسل ؟! إننا نشك ونشك ، لأن هذا النغم كان يطرب منه رجال الأحزاب الفاسدة المفسدة التى كانت حياتها قائمة على تفريق كلمة الأمة ، وتسخير بعض الطوائف ، وإغراء الحكومة على بعض الطوائف التى لم تعرف النفاق والمشى وراء العربات .

إن العبث ساعة الجد حماقة ، والضحك وقت البكى بلاهة ، ولم يعد للبلاد سيد يتعلق بهذا الكلام ، فأريحوا أنفسكم ، فالحكومة القائمة فى مصر اليوم حكومة ثورة ، لا تحتاج إلى هذا الملق الرخيص ، فهى أعرف بطرق الإصلاح ، وهى ليست فى حاجة إلى مشيرين ،

فقد أقنعتها التجارب بعقليات القدامى ممن عملوا مع الأحزاب البائدة ، وهى أعرف بمكانة الأزهر فى العالم الإسلامى ، والأزهر والأزهريون يرأون بها - وعلى رأسها بطل العروبة ومعقد آمال الإسلام الرئيس جمال عبد الناصر - أن تصغى إلى هذه النغمة المفرقة .

وليس الأزهر أشخاصاً يذهبون ويجيئون ، إنما الأزهر فكرة فى ضمير الإسلام ، فهو حى لن يموت مادام الإسلام حيا خالداً .

ولو اتسع الوقت لابتسامة ساخرة لقلنا لهؤلاء الكاتبين : إننا ندعوكم إلى استفتاء شعبى لتقرير مصير الأزهر ومصيركم ، ونحن على استعداد أن نقول للأمة فى صراحة إنها إما أن تكون فى حاجة إلى أزهرها يؤدى لها وللعالم الإسلامى رسالة الإسلام ، فلتمده بما يعينه على القيام بواجبه ، ولتطلب اليه فى صراحة ما تريد من إصلاح فى مناهجه وبرامجه فى حدود رسالته وتاريخه - وإما أن تكون قد أصبحت فى غنية عنه ولا تريد الإسلام الذى يدرسه كما تلقاه عن المسلمين الأولين ، بل تريد إسلاما عصرياً (أمريكيا) أو (فرنسيا) فلتقرر مصيره إلى الفناء . وفى منتأى الأرض أمم كثيرة تريده وتريد دراسته وتتمنى لو تعفر جباهها من أديمه ، وعندئذ يتلو قول الله تعالى : (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة) وإن الله غيور على دينه ، فاحذروا نقمات الله وبطشه . والسلام على من اتبع الهدى ؟

صادق عرجون
عن هيئة التدريس
بمعهد الإسكندرية الدينى

المتقلب فى الاحزاب

ومن تقلب فى الأحزاب منتجعا إن أقفر الشام ألفيناه فى اليمن

محمد الأسمر

مكتبتنا العربية

توحيد التعليم

يقصد بتوحيد التعليم إلغاء التعليمين الابتدائى والثانوى بالأزهر وإدماجهما فى التعليمين الابتدائى والثانوى العامين بالدولة . وهذه فكرة قديمة يثيرها بعض الناس فى مناسبات خاصة ، والله أعلم بنياتهم فيها ، غير أن المناسبات التى تظهر فيها والملابسات التى تحيط بها تدعو إلى الريبة والشك ، وتومىء إلى شىء هو أبعد ما يكون عن الرغبة فى الإصلاح العام . فمن القائمين بهذه الدعوة من عرف بالشذوذ فى أفكاره ، وقامت شهرته على هذا الشذوذ ، كما عرف بأنه يطلق شراعه لكل ريح ، ويصطاد فى كل ماء ، عسى أن يصل إلى الهدف ويبلغ الغاية .

وأهم الأسباب التى تبنى عليها هذه الفكرة فى زعمهم — كما عرفنا من مقالاتهم — الرغبة فى توحيد الثقافة بالدولة ، لأنه السبيل إلى توحيد أفكار أبنائها وشعورهم وعواطفهم ، فإن اختلاف معاهد العلم يجعل من الأمة طوائف متنافرة متباغضة تنظر إلى الشىء الواحد نظرات مختلفة ، حتى زعم أحد أنصار الفكرة أن مذاقهم للطعام يختلف باختلاف المعاهد التى يتخرجون منها .

ونحن — مع تقدير حسن الظن بنيات هؤلاء — نناقشهم فى الأسباب التى بنوا عليها فكرتهم ، عسى أن نقنعهم بالخطأ فيها فيعدلوا عنها لتنام الفكرة فتنام الفتنة . وما أشد فتنة الناس بما يتصل بالتعليم الدينى أيا كانت مصادره .

وإنا لا نحاول أن ندعو هؤلاء إلى الإقلاع عن فكرتهم باسم الدين حتى لا تتهم بالتعصب ، فما أهون هذا الاتهام فى هذه الأيام . وإنما نناقشهم فى الفكرة من الناحية التعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، لنبين لهم أنه ليس هناك ناحية من هذه النواحى تدعو إلى تنفيذ هذه الفكرة ، بل إن هناك ضرورة من الناحية التعليمية للإبقاء على المرحلتين الابتدائية والثانوية بالأزهر .

مكتبتنا العربية

لا شك أن هذا العصر قد امتاز بأنه عصر التخصص فى فروع المعرفة . فللطب تخصص ، وللهندسة تخصص ، ولغيرهما من العلوم تخصص . بل إن للفرع الواحد من فروع المعرفة جملة تخصصات كما فى علم الطب : فهناك تخصص لطب العيون ولطب الآذان وما إلى ذلك مما هو معروف . ذلك أن التخصص يعين على استيعاب المعارف واتقانها وهضمها ، ويعد الانسان إعدادا كاملا لرسالته . ووجود المعاهد الثانوية والابتدائية الخاصة بالأزهر نوع من التخصص المبكر نظرا لطبيعة المواد التى سيدرسها الطالب الأزهرى فى التعليم العالى ، فإن طبيعة هذه العلوم وأسلوب التأليف فيها وتشابكها توجب أن تكون مراحل التعليم على النحو الموجود بالأزهر من وجود تعليمين ابتدائى وثانوى خاصين به تمهيدا للتعليم العالى ، لتكون ثقافة الطالب متسلسلة مترابطة . وإن هذا النوع من التخصص المبكر تعترف به الدولة فى مدارسها الثانوية العامة ، فهناك شعبة للرياضة ، وشعبة للعلوم ، وشعبة للآداب ، هذا عدا عشرات من المعاهد الخاصة للتعليم الخاص .

* * *

إن وجود التعليمين الابتدائى والثانوى الخاصين بالأزهر ضرورة لابد منها لإعداد الطالب الأزهرى للدراسة العالية ، ولا يغنى التعليم العام بالدولة عنهما ، ولا يهيئ الطالب لها ولا يعده لأداء رسالته الدينية ، لأن المواد الدراسية الشرعية واللغوية والعقلية التى يدرسها الطالب الأزهرى إنما يدرسها موزعة على مراحل التعليم الثلاث توزيعا مناسبا لمداركه ، فيدرس فى التعليم الابتدائى المواد التى تناسبه ، ثم ينتقل إلى الثانوى ثم إلى العالى ، ولا يمكن ضغط المواد الدراسية الأزهرية فى أربع سنوات فقط هى مرحلة التعليم العالى كما يرى أصحاب الفكرة ، لأن هذه المواد تدرس الآن فى الأزهر فى اثنى عشر عاماً ويحتاج المتخصص فيها إلى عدد آخر من السنين ، وليس ذلك ببدع فى الأزهر فهذا شأن كثير من الجامعات التى ينتظم برنامجها بعض المواد العويصة كالفلسفة والطب ، كما أنه ليس ببدع أن ينفرد الأزهر بتعليم خاص فى مراحله كلها ، ففى فرنسا نوع من التعليم الابتدائى الدينى الخاص والثانوى الخاص لإعداد الطلاب للدراسة الدينية العليا ، كما حدثنى بذلك أحد أساتذة الجامعات الفرنسية ، وقد يعرف ذلك من خبر نظم التعليم بفرنسا ممن يقوم بالدعوة إلى توحيد التعليم فى الأزهر .

* * *

مكتبتنا العربية

إن التعليم العام للدولة لايعد الطالب للدراسة الدينية العليا ، لأن صلته بالتعليم الدينى العالى ضعيفة جداً كما هو واضح من منهاج الدراسة فيه ، فلابد إذن من دراسة دينية ابتدائية وثانوية خاصة ، ترتكز عليها الدراسة العالية . والدراسة الدينية العالية دون هاتين الدراستين بناء على غير أساس ، وإن أمكن ذلك كانت دراسة رسمية سطحية لاتؤدى إلى الغاية المطلوبة منها ، وهى تكوين رجل الأزهر تكويناً كاملا يمكنه من أداء رسالته فى نشر الدين بعد فهمه فهما صحيحاً من مصادره المختلفة . والمصادر الدينية لايمكن فهمها فهما صحيحاً إلا بدراسة جملة من العلوم دراسة دقيقة يسميها العلماء وسائل : كالنحو والصرف واللغة والأدب والبيان وغيرها ، ونظم التعليم بالأزهر توزع هذه العلوم على مراحله الثلاث . وإنا لانلقى هذا القول جزافا ، ويكفينا فى الدلالة عليه شهادة منصفة خالصة من بعض الدعاة إلى توحيد التعليم ، ومنهم من خبر طبيعة العلوم الإسلامية وأساليب تأليفها كما خبر غيرها من العلوم والثقافات الأجنبية .

* * *

هذا من الناحية التعليمية أما من الناحية الاجتماعية التى يتذرع بها أصحاب الفكرة إلى تحقيق فكرتهم ، فإنا نرى أن حديثهم فيها نوع من العبث أو السخرية أو الاستهانة بعقول القارئين ، فإنهم يقولون إن انفراد الأزهر بتعليمه الخاص فى المرحلتين الابتدائية والثانوية يدعو إلى خلق طوائف من الأمة : لكل منها مزاج خاص ، وتفكير خاص ، وأسلوب معاش خاص ، فتصبح الأمة جماعات متنافرة متناكرة ، لاألفة بينها ولا انسجام ، وإنا نقول لهؤلاء العابثين : إن صحت مقدمتكم هذه وجب بمقتضاها إلغاء المعاهد المختلفة ، وإلغاء تدريس العلوم المختلفة ، ووجب الاكتفاء بمعهد واحد ، يدرس لونا واحدا من المعرفة ، فيكون متعلمو الأمة على نسق واحد ، ويكونون إما أطباء وإما مهندسين وإما قضاة ، ولايصح أن تنوع المعاهد ولا تختلف المواد الدراسية صونا لوحدة الأمة واحتفاظاً بفضيلة الانسجام بين أبنائها ، ويجب أن تكون دور العلم كدور ضرب النقود لا اختلاف بين مسكوكاتها ولا تفاوت . ألا ما أحوجهم إلى شىء من الإنصاف بل إلى شىء من الحياء !!.

* * *

بقيت هناك الناحية الاقتصادية ، ولم يتعرض لها أصحاب الفكرة ، ولعل ذلك عن نسيان

مكتبتنا العربية

وقد يقولون — إن تذكروها — : إن فى اختلاف التعليم بالأزهر وغيره إسرافا فى أموال الدولة دون ضرورة إليه . وإنا نقول لهم : إن التعليم بالأزهر لا يكلف الدولة أكثر مما يكلفها التعليم العام ، فضلا عن أن للأزهر موارد خاصة من أوقافه لو أحسن القيام عليها لسدت كثيراً من نفقات التعليم به . ولنفرض أن نفقات التعليم بالأزهر وغيره متساوية فما الضرورة إلى إلغائه ؟

* * *

هذه أسس الفكرة ، وقد تبين مما ذكرناه أنها أسس واهية لا يقوم عليها بناء ، وإنما هى أوهام أوحى بها الغرض أو الجهل بحقائق العلوم وطرق التعليم فى الأزهر ، ولعل فيما قدمناه ما يقنع أصحاب الفكرة بالعدول عنها إن كان المجال مجال مناقشة وإقناع .

وبعد — فإن الأزهر بنظمه الحاضرة بل بنظمه القديمة قد أنجب لمصر وللعالم الإسلامى أعلاماً فى الدين وفى السياسة وفى الاجتماع وفى الأدب ، قامت على أكتافهم النهضات العلمية والاجتماعية والسياسية بمصر وغيرها من الأمم الإسلامية ، وكانوا الأئمة والقادة ، وظلت أعمالهم شاهدة بخصوبة تعليمه وصلاحيته لإعداد القادة والزعماء .

ألا وإن الأزهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو للمسلمين كافة ، وقد عرفه المسلمون بهذه النظم ، وأولوه الثقة بهذه النظم ، وفاخرت به مصر بهذه النظم ، فكل تغيير فيها لابد أن يراعى فيه رغبات المسلمين وشعور المسلمين ، ولا بد من تقدير ما سيعود على مكانة مصر فى العالم الإسلامى إذا تعرض الأزهر للهزات التعليمية ، وانحرف عن الصفة العلمية التى عرف بها ؟

أبو الوفا المراغى

مدارس الناس

أرى شعبا تحير ناشئوه ... فما يجدون من عمل قواما
فلا أسس التجارة فيه قرت ... ولا ركن الصناعة فيه قاما
مدارس لم تهيئهم لكسب ... ولم تبن الحياة ولا النظاما

شوقى

مكتبتنا العربية

التجنى على الازهر

أحب أن أنبه فى صدر هذا المقال إلى أن النداء بتوحيد التعليم الدينى والمدنى لا يسىء إلى الأزهريين أنفسهم فى كثير ولا قليل ، ولا يعنيهم من أمر هذا التوحيد أكثر مما يعنى كل غيور على بقاء الأزهر رمزا لهـــذا التعليم الدينى الذى آتى أكله قرونا عديدة ، مما لا يجحده إلا مكابر لا يستند من الحجة على شىء .

فالأزهريون أنفسهم ليسوا إلا أساتذة يشغلون الوظائف فى الوزارات والمصالح ، وحقوق هؤلاء مكفولة بما يقدمونه للدولة من عمل ، وبما ينهضون به من رسالة فى التعليم أو فى غيره . بل إن الأزهريين الذين يعملون فى غير الأزهر أحسن حظا من أقرانهم فى الأزهر نفسه ، بل الأعجب من ذلك أن من الأزهريين الذين يعملون خارج الأزهر تلامذة يجدون من المكان المادى ما لا يجده أساتذتهم فى كليات الأزهر ومعاهده ، أما الأزهريون الأساتذة فى الأزهر نفسه فيوم أن تنكب مصر - وحاش لله أن يكون - بتوحيد التعليم أو بما هو مطلوب ويهرعون من الجهر به وهو إلغاء هذه الجامعة ، فسينقل أساتذة الكليات إلى كليات الجامعة ، وفى ذلك نهوض بمستواهم المادى ، وإغداق عليهم بما هو حلم لهم ، وأما أساتذة المعاهد فسيوضعون مع أقرانهم فى المعارف فى مكان أو مكانة .

فأبناء الأزهر - حين يدافعون عن هذه الجامعة ، وحين يقفون صفا يذود عن حمى هذا المعهد العتيد - لا يصدرون فى جهدهم الكريم إلا عن عقيدة بريئة ترى أن التنكر للأزهر صاحب هذه الصفحة المشرقة فى التاريخ إنما هو استهتار بمقدسات لا يجرؤ عليها إلا دعاة الهدم الذين لا يرعون لكل كريم حرمة ولا حقا .

هذه لفتة يجدر بالقارىء أن يفطن إليها ويطيل الوقوف عندها . وهناك لفتة أخرى لها شأنها وخطرها ، تلك هى أن النداء بتوحيد التعليم ليس إلا حلقات متتابعة فى الكيد للأزهر ، ولسنا بصدد مناقشة البواعث ، ولكننا نعرض الآثار لتكون الحقائق أمام العيون ترى ولا تجحد ، فقسم تخصص الدعوة والارشاد فى كلية أصول الدين لم يبق منه

إلا رسم وأثر ، وإلغاء القضاء الشرعى طوح بتخصص القضاء الشرعى ، ونقل إلى مكان آخر باسم آخر فى كلية الحقوق . وهذا الإلغاء صرف الطلاب عن التوجه إلى كلية الشريعة صرفا عنيفا ، ولم يلحق بها من أبناء الأزهر إلا من أكره عليها . وقسم تخصص التدريس كان يلتقى به حملة الشهادة العالية من الكليات الثلاث ، فمنع من دخوله طلاب كلية اللغة العربية ، بحجة أن لهم مكانا آخر يتلقاهم وهو معهد التربية . والذين يتخرجون من تخصص التدريس من أبناء الشريعة وأصول الدين لا يكادون يجدون عملا بعد جهدهم الجهيد .

وكثير من أساتذة الأزهر يرون بينهم وبين منصفتهم أمدا بعيداً . كل ذلك احتشد فى صدور الأزهريين ، والتقت هذه الخيوط والتأمت ، فبدأ القلق يساور الأزهر ، وطفق أبناؤه يتساءلون عما يراد بهم ، وجاءت الصيحة المنادية بتوحيد التعليم ، فدخلت إلى النفوس وهى حافلة بأفكار ومعان ، واندفع خصوم الأزهر اللد من هذا الباب باسم توحيد التعليم ، فرموا الأزهر بكل منقصة ، وأغضوا عن خدمته للشريعة واللغة والعلم والوطنية ، وتمثلنا فى هذه الحملة الجاهدة الساهرة كل معانى الفوضى والهمجية .

ولو قلنا لهؤلاء الذين يهجمون على الأزهر : إن هذه الجامعة تراث المسلمين الخالد ، ففى ربوعها نهضت الفكرة الدينية ، ووجدت حماة أفذاذا أقوياء أخرجوا للدنيا أفكارا قوية ناهضة لا تزال هى فخر الإسلام والمسلمين ، وفى ظلال هذه الجامعة وجدت اللغة العربية أمنها وصونها ، ومن صدور زعمائها تفجرت الوطنية ومعانى الكرامة والتضحية والفداء ـ لو قلنا ذلك لهؤلاء الذين يجحدون فضله لقالوا : إن هذا ماضيه فأين حاضره ؟ ؟ ؟ كأنهم يرون الأزهر اليوم فراغا من العلم وعطلا من الرسالة . . . إننا نفاخر بأن الأزهر لا يزال فى مستوى علمى تتقاصر دونه الأعناق ، والأزهر لا يزال يجرى فى امتحانه على مثال رفيع ، والأزهر أمس واليوم هو المورد الذى ينهل منه أبناء الأقطار العربية ، وهو الذى يرسل مبعوثين إلى بلاد العالم ليهدوا من ضلال ، ولينشروا العلم والدين بين أمم لا تعرف مثل ما تعرفون من المكابرة واللجاج .

إننى لا أعرف فى أمة من أمم العالم دعوة من جماعة أو فرد إلى القضاء على جامعة أربت فى الوجود على ألف عام . ولا أتصور ما تقابل به دعوة هؤلاء الهدامين من إخواننا أبناء الأقطار العربية التى تجعل زعامة مصر أول ما تجعلها للأزهر وفضله على هذه الأمم كافة .

يقولون : تعالوا نوحد التعليم الدينى والمدنى ، وأخضعوا التعليم فى المرحلتين الابتدائية والثانوية لنظام واحد وتحت رعاية وزارة التربية والتعليم . ولقد قلت لنفسى إن كان المراد من التوحيد فى هاتين المرحلتين هو العناية بالتعليم الدينى والتوافر على التفقه فيه فلا يمكن أن يتحقق ذلك بمنهاج وزارة التربية فى هاتين المرحلتين ، وجميع الناس يشهد أن الدين والقرآن خاصة نصيبهما فى هؤلاء ضئيل هزيل ، فالأولى إذن أن تباركوا الأزهر وتقروا بقاءه ، وإن شهدتم وجوها من النقد فى نهج الدراسة فدلوا عليه مشكورين . وإن كانت الثانية فرارا من هذا اللون من التعليم وانصرافا إلى تعليم مدنى خفيف على الجيل الجديد ، فالعيب إذن ليس فى الأزهر ، وإنما العيب فيمن يرون رسالته رجعية أو تعويقا للركب .

وهل يمكن أن يقال إن الفرصة سانحة للتخصص فى الدين بعد التخرج من الكليات ؟ أبعد أن تتجه النفوس الناشئة اتجاها خاصا ليس فيه عكوف على الدين وجماله واللغة وسرها ، وتنصرف إلى شئون الحياة من طب أو هندسة أو غيرهما ، أيمكن بعد ذلك أن يوجد مجال للتخصص فى الدين وللعكوف على التملأ منه والغوص فى مكنونه ؟

جميل حقا أن تفزع الدعوة لهذا التوحيد فى الوقت الذى تضج فيه الأحاديث عن الإلحاد والوجودية والتحلل بين أبناء التعليم المدنى ، كأن المراد إذن توحيد الانحلال لا توحيد التعليم .

إنكم - يأيها الدعاة - تعلمون أن القرآن لا يجد له صدورا إلا فى الأزهر ، حيث يشترط حفظه للطلاب قبل التحاقهم ، فكأنكم تريدون أن تحولوا بين هؤلاء وبين كتاب الله ، كما حيل بين غيرهم وبينه .

إن التعليم فى الأزهر ليس قاصراً على الدين والعربية . بل هو يجمع إلى ذلك طائفة جمة من العلوم الحديثة بقدر ما يتسع له وقت المتوافر على الدين والعربية . ولا نقول إن فيه تبحراً فى هذه المواد أو تخصصاً فيها ، فوطن ذلك كليات الجامعة ، وكل ميسر لما خلق له . وفيه مع ذلك دراسة للغات الانجليزية والفارسية والعبرية ، وفيه نهضة شاملة للآداب والفنون ، وبين شبابه أفذاذ لهم مواهب فى الكتابة والخطابة والشعر ، وبين تلامذته من يجيدون الرياضة المختلفة والموسيقى والتمثيل ، ولم يعد من شباب الأزهر من يجهل أفقاً من آفاق الحياة ، فهم اجتماعيون بصراء بما يجرى فى المجتمع مشاركون فيه ، غير أن فيهم

مكتبتنا العربية

عيباً ذاتياً متأصلا ، ذلك أنهم مصرون على الدعوة لله ، لم تدخل عقولهم أوهام العقائد الفاسدة ، ولم ينزلقوا إلى الميوعة والتحلل الذى أصبح طابعاً للكثيرين من الشبان ، الناجحين فى الحياة » .

ولو أن الدعاة إلى الخلاص من الأزهر جرؤوا على النيل من فضله ، والتجهم لعظيم أثره وخطره قروناً متصلة لابنت - وألجمت - بالحجة والدليل أن الأزهر وحده هو الذى حمل لواء الوطنية والعلم والأدب يوم أن كان غير أبنائه يرعى فى أرض الجبن والجهل والخمول .

وقد تفضل الأستاذ الدكتور طه حسين فكتب مقدمة لكتابى « أثر الأزهر فى النهضة الأدبية الحديثة »[1] فأكد أن الكتاب « يظهر فى أوضح الوضوح وأجلى الجلاء أن الأزهر لم يكن مشرق النور فى عصورنا القديمة وحدها ، وإنما هو مشرق النور فى العصر الحديث » وأن المؤلف « قد استطاع أن يجلى هذه الحقائق وأن ينبه المصريين إلى أنهم يظلمون الأزهر ويظلمون أنفسهم حين يظنون أن رجال هذا المعهد العظيم يعيشون على هامش الحياة الحديثة » وأن عمل المؤلف « دليل واضح حى على أن فى الأزهر كنزا من خصب العقول وذكاء القلوب وحسن الاستعداد لجلائل الأعمال يجدر بمصر الحديثة ألا تهمله وتنساه » .

فالأستاذ الدكتور طه لا يجحد فضل الأزهر على الحياة الكريمة ، بل هو نفسه من أوضح هذه الأدلة ، ومن ثم لا أفهم أنه داعية لهدم الأزهر ، وإن دعا للتوحيد فلعله يراه غير مؤد لتلك الغاية ، وأيا ما كان فنحن نجاهد التوحيد ونهلك دونه ، ونرى أن فيه قضاء على أمجاد لا تفرط فيها أمة كريمة .

على أنى أسائل نفسى لماذا لم تكن هذه الدعوة سافرة فى طلب الإصلاح ؟ إننا لا ننكره الإصلاح ولا ندع سبيلا من سبله إلا سلكناها ، ولكم نادينا به وجاهدنا من أجله ، والأزهريون لا يرون عيباً فى مناهضة النقص ، بل العيب فى الرضاء به والإغضاء عنه ، ولم يعب وزارة التربية والتعليم أنها تبدىء وتعيد فى مناهجها ، وتحل وتنقض فى تشريعها ، فإن ذلك نشدان للكمال وأخذ بأسبابه - وأخيراً نحن واثقون من أن الله سيرعى الأزهر وينصفه ، وإن فرط المصرى فيه ، فسيحرص المسلم والشرق عليه ؟

[١] الكتاب تحت الطبع

محمد كامل الفقى
المدرس فى كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

القومية العربية
ودور الأزهر فى إنهاضها

. . . . ثم عاود الدكتور طه حسين داؤه القديم ، وأصابته نكسة كان بعض الناس يظن أنها أمست بعيدة عنه ، بعد أن أظهر توبته ، وقصد إلى بيت الله حاجا ومكفرا عن ماضيه فى خدمة المبشرين والمستشرقين ، وتعريب كتبهم وأفكارهم .

ثم أظهرت الأيام ما خفى من أمره ، وعلم الناس أن هجرته إلى بيت الله لم تكن إلا لدنيا يصيبها .

عاد الدكتور طه إلى حقده القديم على الأزهر ، والتهجم عليه فى شطط وإسراف ، محاولا أن يثأر لنفسه من العلامة الشيخ دسوقى العربى فى شخص الأزهر .

ورحم الله أستاذنا الدسوقى ، فقد كان على بصيرة ربانية يوم أبعده عن الأزهر ، وضن عليه ببراعته وعالميته ، وحرمه شرف الانتساب إلى صفوف العلماء ، مما جعله واقعا تحت تأثير مركب نقص ينغص عليه حياته ، ويعاوده بين حين وحين .

وما يحاوله اليوم - من صد عن القرآن ومعهده ، والحديث ومدرسته ، واللغة العربية وحصنها - هو ما حاوله يوم عمم المجانية فى التعليم ، لصرف الناس عن الأزهر ، لا حبا فى عامة الشعب ، ورغبة فى تثقيف أبنائه ، وإتاحة الفرص المتكافئة لهم - كما كان يزعم ، فهذا آخر ما يفكر فيه هذا « الارستقراطى » الذى لا يعرف إلا فرنسا مصيفا ، يتلقى فيه من أساتذته هناك دروس الاستعمار الثقافى ، ثم يعود إلينا شتاء « سفيرا لفرنسا فوق العادة » يدعو إلى ما وقف حياته عليه .

* * *

لست بصدد الرد على هذا وأمثاله من المفارقين لجماعتهم ، فقد وضح أمرهم ، وانكشف سرهم ، وتمزق سترهم ، وعرفت الأمة أن الهدف الذى يجرون وراءه هو القضاء على كتاب الله أن يدرس ، وعلى سنته أن تجد لها من يخدمها ويرعاها .

لست بصدد الرد على هؤلاء ، فقد تولى الله فى كتابه الرد عليهم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإنما أريد أن أبين ناحية لها خطرها ، وجانبا مهما فى رسالة الأزهر التى قام ويقوم بها

مكتبتنا العربية

على خير ما يبتغى المصلحون ، رغم ما صادفه ويصادفه من تيارات منحرفة ، وأعاصير هوجاء ، يغذيها الاستعمار وأعوانه ، والإلحاد وشياطينه ، والوجودية وحيواناتها .

نعم : فقد أظهرت البحوث التاريخية والدراسات الاجتماعية أن اللغة هى روح الأمة وحياتها ، وأنها العمود الفقرى والعنصر الاساسى من عناصر تكوين القوميات ، وأن الامم تقوم - أولا وقبل كل شيء - على وحدة اللغة التى توجد الوحدة فى التفكير والشعور ، وتربط بين الافراد والجماعات برباط وثيق تتقارب به الأفكار والعواطف ، وتتحد الآمال والآلام .

وقد علمنا تاريخ الأمة العربية أن الاستعمار - وإن أفقدها استقلالها السياسى فى بعض أوطانها حينا من الزمان - فأنه لم يستطع أن يمس كيانها ، أو يذيب قوميتها فى بوتقته ، لأنها استمرت محافظة على لغتها الخاصة بها .

وقد تنبه إلى هذا أحد المفكرين فقال : - « إن الأمة المغلوبة التى تحافظ على لغتها تشبه السجين الذى يمسك بيده مفتاح سجنه » .

إنها تستطيع أن تفلت من سجنها ، وتسترد استقلالها فى يوم من الأيام ، لأنها تبقى حية بحياة لغتها ، وتظل محافظة على كيانها كأمة ، برغم أنها تكون قد فقدت شخصيتها السياسية إلى حين . أما إذا فقدت الأمة لغتها ، وأعربت عن مشاعرها بلغة الدولة المستولية عليها ، فتكون قد فقدت الحياة تماما ، واندمجت فى كيان الأمة صاحبة اللغة الجديدة .

وقد كان الأزهر المفتاح الذى أخرج الأمة العربية من سجن الاستعمار وأسره ، إذ حفظ لها هذا التراث الخالد ، وقام بحراسة لغتها التى حملت إلى الناس أعز ما حملته لغة من اللغات ، فقام على دراستها : نحوا وصرفا ، وبلاغة ووضعا ، وعروضا وفقها ، وشعراً ونثرا ، وربط بين خير أمة أخرجت للناس وبين مدرسة الرسول العربى الأولى .

الأزهر هو الذى حفظ هذه اللغة حية نابضة ، فقاوم بذلك الاستعمار الثقافى الذى حاول القضاء عليها ، بفرض لغته فى جميع نواحى الحياة ، وفى مختلف مراحل التعليم ، بل فى السنة الأولى منها ، قبل أن يتقوم لسان الطفل بلغته ، ويستقيم نطقه بها ، مستعينا بصنائعه من وزراء المعارف السابقين .

إن مصر رائدة العالم الاسلامى ، وزعيمة البلاد العربية ، يترسم الجميع خطاها ، ويهتدى بهداها ، ويقتفى أثرها ، فبأى شيء كانت لمصر هذه الزعامة والصدارة ؟

مكتبتنا العربية

إنه الأزهر جامع الجامعات ، وأبو اللغة ، وحصن الدين ، وهو بهذا الوضع ليس ملكا لمصر وحدها ، ولا لجيل من أجيالها ، بل هو ملك الملايين من العرب والمسلمين فى القرون الماضية واللاحقة . وما وجوده بمصر إلا كوجود مجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة ، لمصر شرف وجوده بها ، واحتضانها له ، ورعايتها لرجاله ، جزاء وفاقا على ما أكسبها من زعامة وجدارة .

* * *

فى كل عام يحج إلى الأزهر آلاف من أبناء البلاد العربية ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويوحد بين قلوبهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وينظم أهدافهم ، ويسلحهم بالدين والخلق واللغة ، ويثير فيهم ذكريات الأسلاف الأماجد ، حتى أصبح فى كل قرية أو دسكرة ، وكل قصبة أو كورة ، وكل عاصمة أو مدينة ، أزهر متنقل يتمثل فى شخص ابن من أبنائه يبلغ قومه وينذرهم .

ومثال واحد أذكره لأنه ابن ساعته ووليد وقته ، فإنه لما صدر قانون توحيد القضاء بمصر ، ظن الخادعون والمخدوعون أن ساعة الأزهر آتية ، وأن كلية الشريعة فى طريقها إلى الزوال ، وأن تخصص القضاء الشرعى قد أغلق أبوابه .

ومع هذا فإن الحقائق صدمتهم وأفحمتهم ، إذ ظل أبناء البلاد العربية والإسلامية يتلقون فى تخصص القضاء الشرعى بالأزهر دروس القضاء الإسلامى ، ليطبقوا مبادئه وأحكامه فى أوطانهم إذا رجعوا إليها .

وبعد - فإذا كنا اليوم على قلب رجل واحد ، دفاعا عن جزء مبارك من أجزاء البلاد العربية ، فإننا يجب أن نذكر جهود الأزهر فى إنهاض القومية العربية التى جعلت جميع أبنائها ينشدون :

بلاد العرب أوطانى من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان

ومما يزيدنا سروراً أن يشترك الأزهر فى هذه المعركة المقدسة بكثير من أبنائه : ضباطا فى جيش العروبة ، وجنودا فى الحرس الوطنى .

وأخيرا فإن الله — سبحانه — الذى طهر مصر من (الاستعمار العسكرى) وأعوانه من الزعماء السياسيين ، على يد أبنائه البررة الذين قضى بفضلهم على (الاستعمار الاقتصادى) ودعاته من الاقطاعيين ، سيتم علينا نعمته بالقضاء على (الاستعمار الثقافى) ورواده .

وإن ربك لبالمرصاد ؟

زكريا البرى

مكتبتنا العربية

الدكتور طه حسين

والأزهر الشريف

أحب أن أقرر أنى - مع الاسف - لم يكن لى حظ التعلم فى الازهر الشريف ، فأتهم بالتحيز المعهدى أو التعصب المهنى ، وكل مايربطنى بالازهر إنما هو رباط كل مسلم مؤمن بربه مخلص لعقيدته ، يعلم تمام العلم أن مرد كل فضل فيما يعلم من أمور دينه إلى هذا المعهد العظيم وأساتذته الأجلاء القدماء منهم والمحدثين على السواء . ومن ينكر ذلك فهو جاحد لاصحاب أكبر فضل عليه ، غير صادق فيما يدعيه ، وينبغى أن لايسمع له كلام ، ولايحفل منه بمقال .

وكل مسلم يعلم كما يعلم الدكتور طه أن الازهر وحده هو الذى قام ويقوم على حراسة هذا الدين الحنيف وعلومه إلى هذا الوقت الذى نعيش فيه ، وهو الذى أسهم بالنصيب الاوفر بالقول والعمل فى كل أطوار تاريخه وفى جميع الاحداث الوطنية وأزمات الحرية المصرية بلا استثناء ، وكان الازهريون فى مقدمة الصفوف المدافعة فى سبيل الحرية والاستقلال . لا يسترب فى ذلك أو يشكك فيه إلا ظالم أو جاهل أو صاحب هوى رخيص .

قد يكون هذا كلاما معلوما ومعانيه راسخة فى الاذهان ، ولكن لابد من ذكره ، ففيه نفع لتدعيم الحق ، وهو تقدمة لازمة لما نقصد اليه فى هذا الموضوع الخطير .

الدكتور طه حسين مصرى مسلم ، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فى وقت كان له فيه مع الدين - أو مع القرآن على التحديد - موقف لم يشرفه ، بل كاد يعصف به ويخرجه من محيط المسلمين إخراجا عنيفاً . والناس لايزالون يذكرون إنكاره لبعض قصص القرآن الكريم الذى هو أساس هذا الدين ، ولهذا ، ورغم شهادته تلك ، فان يرضى الناس أن يتحدث لهم عن الدين ولا مايتصل به من قريب أو بعيد ، فهو عندهم مهما بلغ من شأنه فى الادب فلن يوثق به فى شئون الدين .

وأرجو أن لايتهمنى الدكتور طه بأنى أقول غير الحق ، وأنى أنحرف عما يأمرنى به الدين من الصدق فى القول ، ومن اجتناب التحدث عن الناس بما لم يقولوا وبما لم يدعوا

مكتبتنا العربية

إليه سراً ولا جهراً ، فإن هذا الأمر مدون فى تحقيقات النيابة المشهورة فى موضوع كتابه (فى الشعر الجاهلى) كما أنه ثابت فى أذهان المعاصرين ثبوتاً لم يتطرق اليه النسيان .

ويظهر أن دوافع ذلك الموقف الشائن القديم لاتزال أصولها راسخة فى نفسه ، فلا تفتأ تظهر آثارها فى مقالاته بين الحين والحين . وهـــذا الداء الذى يعاوده ليس خصومة بينه وبين الأزهر والأزهريين بصفة أصلية ، وإنما هى خصومة بينه وبين الدين والقرآن ، ثم تتصل هذه الخصومة بعد ذلك بالأزهر والأزهريين بالتبعية الحتمية ، كما يتضح ذلك من الوقائع المتلاحقة التى يبتدعها الدكتور ، ويشاغب بها الدين أو الأزهر والأزهريين .

فلقد أثار الدكتور طه من أشهر قليلة مسألة ترجمة القرآن ، وأطال فى اللجاج على عادته بكلام مرسل إرسالا غير مدروس ، وحشا مقالاته بمعلومات ملتوية مليئة بالمغالطات ، وبنقول زائفة تدل على سوء القصد بتغيير معانى المنقول بحذف بعض النصوص وعدم التزام الأمانة العلمية المرعية عند أهل العلم والخلق السليم .

وإنا لنسأل أنفسنا ـ ونحن نستعرض حال الدكتور ومواضيع مقالاته ـ : هل القرآن (الذى يحاول الدكتور طه أن يتسلل إليه ليتال منه) أزهرى من وضع الأزهريين ، ولذلك فهو يسعى لتضييعه بالدعوة الملحة إلى ترجمته ؟ أو أنه أصل هذا الدين ، ولابد للدكتور من محاولة تمزيق هذا القرآن عدوه القديم فى زمن يعتقد الدكتور أنه ملائم للنيل من الإسلام ، فقد رق دين الناس ، وتعددت فيه الدعوات إلى التحلل والضلال .

نعم . إن القرآن كلام الله ، ولكن الأزهر والأزهريين قد هبوا للذود عنه ، وصانوا القرآن من العبث المنشود والترجمة المقصود بها الإساءة إلى الدين ، فحق عليهم غضب الدكتور طه ومن لف لفه ، وإذن فلابد من ضعضعة الأزهر نفسه ، والنيل من الأزهريين ، وتمزيق هيبتهم ، ومحو مكانتهم فى الشعب ، واستعداء الحكام عليهم بكل سبيل .

ثم أثار الدكتور ـ ومن وراءه المخدوعون به الغافلون عن مقاصده ـ مسألة توحيد التعليم ، ولج فى ذلك وأطال ، ولكنه لم يكتب كعادته إلا كلاما فارغا لا معنى له ، كله تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لما يدرس من العلوم المدنية فى الأزهر الشريف : وتناس ،

مكتبتنا العربية

ولا أقول : نسيان ، كيف تدرس العلوم العربية والدينية بجميع فروعها دراسة مستفيضة تستعصى على الطلبة المدنيين كل الاستعصاء . وهلا سأل الدكتور نفسه : هل فى طاقة طالب الثانوى إذا تخصص فى علوم الدين أن يدرسها ويتفقه فيها تفقه الأزهرى ؟ وهل هناك علم من العلوم المدنية ـ التى يجب أن يتعلمها كل مصرى كما يقول ـ مضيع فى الأزهر ؟

لا ، لم يسأل الدكتور نفسه عن هذا كله ، ولم يتعرض لشىء منه ببحث أو عرض وتوضيح ، ليبين للناس وجه الحق فيما يدعو إليه ، وإنما أخذ يبدىء ويعيد فى كلام على عادته فى غير تحديد ، كله محشو بالمغالطات المفضوحة التى لا يثبت منها إلا سوء قصده ، وعدم درايته الكافية بالتعليم وتوجيهه إلى الحق والسداد .

وإذن فالمقصود من هذه الحملة الجديدة أن يلغى تعليم الدين بهذه السعة وبهذه الدقة ، وأن ينصرف المسلمون عن حفظ القرآن أساس هذا الدين الذى يحاول الدكتور أن ينال من الأزهريين بسببه ومن أجله .

وبعد ـ فليسأل القراء أنفسهم متى كان الدكتور طه ممن يطمأن إليهم إذا تحدثوا فى شأن يتصل بالدين وعلومه ، وتاريخه معروف للجميع ؟

وهل الدكتور طه ـ لأنه تولى وزارة المعارف فى النظام الحزبى ـ أصبح من رجالات التعليم الذين يستطيعون أن يدرسوا مناهج التعليم ، ويكون لهم رأى صائب علمى محترم فيها بمعنى الكلمة ؟ كلا ، وألف مرة كلا .

ألا فليطمئن الدكتور طه ولا يتعب نفسه فيما لا يحسن وفيما لا يؤتمن عليه ، وفيما لا طائل تحته ، فإن المسلمين جميعاً لأمثاله ولآرائه المسمومة المدخولة لبالمرصاد ، وإن ذلك الذى يقيم الزوابع من أجله لن يحدث ولن يكون ، لأن الله كفيل بتأييد الصادقين المخلصين ، وهو لا يصلح عمل المفسدين .

أحمد نصار القوصى

مكتبتنا العربية

لحساب من هذه الخطوة الثانية

يا دكتور طه ؟

ما كنت أظن أن الدكتور طه حسين وقد بلغ من الكبر عتيا ، واشتعل منه الرأس شيبا ، أن يتمادى فى التهكم بالأزهر والازهريين ، ويداب على النهوين من شأنهم فى هذا الوقت الذى تمر به مصر الآن ، فيكتب عنهم (بأنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس) ويصفهم بأنهم (لا يعرفون من العلوم إلا أسماءها وظاهراً من أطرافها) ويرد على بعض كتاب الأزهر بقوله : (إنما عاش وما زال يعيش فى العصور الوسطى) وهو يعلم حق العلم بأن الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه من رجال الثورة أغير الناس على الأزهر ، وأشدهم حرصا على كرامته ، لأنهم يقدرون الأزهر قدره ، ويعرفون خطره عند الممالك الإسلامية : تلك الممالك التى تعتز بمصر وتحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، وتشرئب لها أعناقهم ، وتتعلق بها نفوسهم ، فتسمع هذه الأمم من الدكتور هذا الزور من القول سخرية بالأزهر وتصغيرا من شأنه . ولا أدرى لماذا اختار الدكتور هذا الوقت متعللا بإصلاح الأزهر .

وما أغنى رجال الثورة ورجال العروبة فى هذا الوقت العصيب عن سماع هذا اللغو من الدكتور ، وهم يعملون ليل نهار على إسعاد مصر وبلاد العروبة ودفع الضر عنها .

وما كان الأزهر فى يوم من الأيام فى حاجة إلى الإصلاح من الدكتور طه ، فهو موتور من الأزهر لأنه رسب فى امتحان الشهادة العالمية ، ولأن علماءه قد ردوه إلى الصواب أمام النيابة ، حينما ألف كتاب الشعر الجاهلى فى قصة سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل . فبين الدكتور وبين الأزهر ثأر قديم .

وإنى أرجو المعذرة يا دكتور إذا ذكرت ذلك عنك ، ليعلم الناس لماذا تكتب عن الأزهر اليوم ، ولماذا تصبحه وتمسيه بالهجوم عليه .

وكان بودى - يا دكتور - أن أكشف القناع عنك ، ليعرف الناس ويعرف الشباب الجديد موقفك من ثورة سنة ١٩١٩ وما نال سعد باشا زغلول منك ، ثم انضمامك للدستوريين ،

مكتبتنا العربية

وأبين لهم ما كتبته فى الوفد والوفديين ، ثم لم تلبث طويلا حتى نزعت عنك لباس الدستوريين وتقمصت الوفدية ، وأدرت ظهرك للدستوريين وقلبت لهم ظهر المجن متناسيا دفاع عدلى باشا وثروت باشا عنك فى مجلس النواب ، وشرعت ترسل عليهم من شواظ قلمك ما شاء به أدبك .

كنت أود يا دكتور أن أذكر هذه المواقف ولو موجزة . ولكنى أشفقت عليك الآن .

كررت يا دكتور (أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس) فكيف تعلمت أنت ؟

يعلم الناس أنك تعلمت فى الأزهر حتى حصلت على الشهادة الأهلية ، ثم التحقت بالجامعة المصرية ، ثم سافرت إلى فرنسا . هذه مراحل تعليمك . فالأزهر صاحب الفضل عليك إذ غذاك بعلومه ، وهيأ لك طريق الثقافة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه . فعلماؤه أساتذتك ، فلماذا تقابلهم بهذا العقوق ؟ ألا ترى معى أن فى علماء الأزهر من يحمل شهادة السوربون وأمثالها من جامعات الغرب علاوة على شهادة العالمية من الأزهر وهى الشهادة التى عجزت عن الحصول عليها ، وهى سبب موجدتك على الأزهريين ، وخرجت من لجنة الامتحان معلنا أدبك فى الجرائد تحت عنوان (ساعة فى الضحى بين العمائم واللحى) .

وفرق بينك وبين علمائنا أنهم يذهبون إلى عواصم الغرب ويتلقون علومهم بها ويعودون إلى مصر وهم أوفياء لدينهم ، مخلصون لأزهرهم ، ثابتون على مبادئهم ، ولا يلبسون لكل عهد لبوساً ، ولا يتجهون إلى كل جهة بوجه .

هل تريد إصلاح الأزهر يا دكتور ؟ لقد فاتك القطار ، وشمل الإصلاح الأزهر ومعاهده . وهل ما تنعت به الأزهريين بأنهم (لا يتعلمون كما يتعلم الناس) وأنهم (لا يعرفون من العلوم إلا أسماءها ، وأنهم يعيشون فى العصور الوسطى) هل هذا كلام الصادقين وأسلوب المصلحين .

إن كلام المصلحين يخرج من قلوبهم مضيئاً بضياء الحق ، مشرقا بنور الصدق ، وتسطره أقلامهم خالياً من الغمز واللمز شريفاً عفيفاً .

والإصلاح الذى تريده للأزهر هو توحيد التعليم فيه وفى المدارس الابتدائية والثانوية ، هذا ما تريده وتلح فيه .

يا دكتور : إن التعليم الآن فى وزارة التربية والتعليم ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ،

مكتبتنا العربية

والمرحلة الإعدادية ، والمرحلة الثانوية . فهل تطالب توحيد التعليم للأزهر وللمدارس الابتدائية وللمدارس الثانوية دون المدارس الإعدادية .

ولماذا لا تطالب توحيد التعليم بين مدارس المعلمين ، ومدارس الزراعة ، ومدارس الصنايع ، وبين المدارس الابتدائية والثانوية ، وتطالب هذا الأزهر وحده ؟

ولماذا تطالب من الأزهريين أن يكونوا أطباء ومهندسين ، ولا تطالب من مدرسة الطب وكلية الهندسة أن يتخرج فيهما علماء فى الشريعة ، وفى اللغة العربية ؟

فى الحق يا دكتور ، أن لكل معهد مناهجه الخاصة التى يتخرج بها طائفة من الإخصائيين على ما رسمته لهم البرامج واللوائح .

إنى أذكر لك يا دكتور رأى الأستاذ عباس محمود العقاد فى توحيد التعليم ، وقد نشرته له جريدة الأخبار ، قال : (ولا يوجد فى أمة من الأمم عالم دينى لا يتخرج من معهد خاص يخالف المعاهد الأخرى فى نظامه وعلومه وموضوعاته . ولا فرق بين المذاهب فى هذ التخصص حتى ما كان منها منسوباً إلى دين واحد كالمذهب الأرثوذكسى ، أو المذهب الكاثوليكى ، أو المذاهب البرتستنتى وغيرها من المذاهب المسيحية . فإن المتخصصين فى دراسة كل مذهب يتخرجون من معهد مستقل غير المعاهد التى يتخرج منها أتباع المذاهب الأخرى . ومن طريف ما يذكر فى هذا الموضوع أن كهان المذهب البوذى (الجينى) فى أحمد أباد بلغوا من التطور العصرى مبلغا يدل عليه أنهم يؤلفون لهم نقابة للمحافظة على حقوقهم والدفاع عن مطالبهم وبرامجهم . ولكنهم مع ذلك يتعلمون فى معاهدهم التى تأسست منذ مئات السنين ، ولا يرون فى ذلك ما يمنعهم أن يأخذوا من ثقافة العصر بنصيب) .

هذا هو رأى رجل لا تتهمه بالعصبية للأزهر ، أذكره لك بجملته ، لتعلم أنك كنت مسرفا فى رأيك فى توحيد التعليم ، ومتجنياً على الأزهر ، معتمداً على كلماتك المسولة ، وألفاظك الرنانة ، فى المغالطة والتهكم كعهدك فى جريدة السياسة وفى أيام وفديتك ، وما هذا بسبيل المصلحين .

وكان الأجدر بك فى مثل هذا الموضوع الخطير أن تختار الوقت المناسب وتبحث : هل الأزهر يهون هدمه على مصر والعالم الإسلامى ، حتى لا تظهر بهذا المظهر الذى إن دل

مكتبتنا العربية

على شيء فإنما يدل على المغامرة التي لا تستند إلى حجة أو برهان ، حتى إن ما قرأته لك عن الأزهر دل على اتساع الهوة بينك وبين أهله . وكأنك لا تعيش في مصر ، وكأنك لا تعرف شيئاً عن الإسلام والأزهر وقد كنت ربيبه ، مما أثار الظنون والشكوك حول ما تكتب عن الأزهر .

واعلم - يا دكتور إن كنت لا تعلم - أن الأزهر في هذا العصر ، قد سار في ركب الحضارة الحديثة ، وساير النهضة الجديدة في عهد الثورة المباركة ، بل فتح أبوابه لتعليم الفتيات ، ويدرس أبناؤه القديم والحديث . وقد عرفوا كثيراً من اللغات الأجنبية وبرعوا فيها . ولذلك قاموا بنشر العلوم والمعارف في مصر وفي الأقطار الشقيقة . وعرفت هذه الأقطار أقدارهم فاعتزت بهم وألحت في طلب المزيد منهم .

إن الأزهر يا دكتور قد حافظ على الشريعة الإسلامية ، وحرص على اللغة العربية ، حتى إن شبه الجزيرة العربية التي ولد فيها رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ، وبعث فيها ونزل عليه الوحي بين ظهرانيها وربوعها ، ونزل القرآن بلغتها ، أصبحت الآن تتعلم اللغة العربية من الأزهر . وتأخذ الشريعة من أفواه علمائه ، فهل بعد ذلك تقول عن الأزهر ما تقول ؟

وماذا تريد من الأزهر بعد أن أصبح موردا عذبا يحج إليه الطلاب من جميع الأصقاع ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ؟

إنه لمنظر رائع ، منظر أبناء خمس وأربعين دولة يجمعهم العلم في صعيد واحد من معاهد العلم الأزهري في مصر ، فيصقلهم ويهذبهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويوحد كلمتهم ، ويربطهم برباط الإخاء المتين . فهل الدعوة إلى هدم الأساس الذي يقوم عليه هذا الصرح من ألف سنة ، يمكن أن تصدر عن رجل يفكر في مصلحة بلده ؟ هذا ما كان يتساءل عنه الناس وهم يقرأون مقالة « الخطوة الثانية » ؟

علي محمد عامر
مدرس بقسم البعوث بالأزهر

مكتبتنا العربية

كلمة موجزة :

رسالة الجامع الازهر

هى رسالة القرآن والسنة

(الجامع الازهر) أقدم مدرسة دينية فى العالم بعد مدرسة (بولونيا) بإيطاليا ، فقد تقدمت عليه بأربعة قرون تقريباً .

بناه (جوهر الصقلى) قائد (المعز لدين الله) الفاطمى بعد فتحه لمصر ، شرع جوهر فى بنائه سنة (٣٥٩) هـ وكمل بناؤه سنة (٣٦١) وعمر بقراءة العلم سنة (٣٨٠) هـ .

وقد مرت على الأزهر أحداث كثيرة ، ففى أول عهده كانت تنافسه مدرسة (دار الحكمة) منافسة شديدة ، وهى من بناء الفاطميين أيضاً ! ! وجاء (صلاح الدين الايوبى) فأقفله وبقى مقفلا إلى أيام الملك (الظاهر بيبرس) فظل بذلك معطلا نحو (٢٦٠) سنة . وفى عهد الملك الظاهر جدد بناءه الأمير (عز الدين أيدمر الحلى) ورد له حقوقه وتبرع له بمال جزيل . وتعهدت الأزهر بعد ذلك أيد كثيرة فى أزمنة مختلفة زادت فى بنائه ، أو رممته وجددته .

لم ينشأ (الجامع الازهر) فى أول الأمر ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، وإنما أنشىء ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية فى عاصمتها الجديدة ومنبراً لدعوتها الدينية ... شأنه فى ذلك شأن المساجد الجامعة فى العواصم الإسلامية أول أمرها ، ولم تزل تطور فكرة الدراسة به حتى غلبت عليه ، وأصبح الآن المنار الساطع والمنهل العلمى للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، يفدون إليه من هنا وها هنا طلابا ثم يعودون إلى بلادهم علماء ، ينشرون دعوته بين المسلمين ينيرونهم بما قبسوه من نور الأزهر ، ويروون ظمأهم للعلم والدين بما ارتووا منه . وبهذا أصبح الأزهر وهو ليس فى مصر وحدها بل فى كل البلاد الإسلامية على اختلاف أجناسها ، تهتدى بنوره ، وتنهل من منهله ، وأصبحت له عصبية فى كل هذه الجهات ، يكونون جميعاً أسرة واحدة ، تعمل ما استطاعت لحفظ التراث الإسلامى ، ولرفعة الإسلام والمسلمين .

مكتبتنا العربية

وقد شاء ربك للأزهر الذى بناه (جوهر) ليكون مسجدا رسمياً للدولة الفاطمية ومنبرا لدعوتها الدينية ، أن يكون مسجداً لكل الإسلام والمسلمين ، ومنبراً عاما لهم على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وتعدد ممالكهم ودولهم .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للأزهر خيراً أكثر مما كان يريده له الفاطميون ، فلم يبق الأزهر وقفاً على دراسة مذهب فقهى خاص ، أو دعوة طائفية خاصة ، بل اتسع لأكثر من مذهب ، وأصبحت دعوته عامة للإسلام وحده لا لهذه الدولة ولا لتلك ، وهو الآن تدرس به المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لدى خاصة المسلمين وعامتهم ، تدرس فيه هذه المذاهب غير مصبوغة بصبغة سياسية ، أو تعصب طائفى ، بل تدرس لذات العلم والمعرفة ولوجه الله .

والأزهر بعد ذلك قابل لأن يدرس ويمحض كل رأى اجتهادى إن وجد صاحب هذا الرأى ، ولا حرج على فضل الله .

وإذا كان الأزهر قد اتسع لدراسة الفقه الإسلامى ، فإنه قد اتسع أيضا للكثير من العلوم الدينية واللغوية والعقلية ، حتى رأينا أن النواة التى غرسها (جوهر) فى التربة المصرية لتكون شجرة خاصة تتحول إلى روضة مزدهرة ذات أشجار كثيرة مختلفة الثمار ، لا شجرة واحدة ذات ثمرة واحدة !!

* * *

تطورت إذاً رسالة الأزهر وأصبحت رسالة عامة خالصة من كل الشوائب ، تستمد وجودها من أصلين ثابتين (كتاب الله) و (سنة رسول الله) .

وتفرع عن كل من هذين الأصلين الثابتين ثلاثة أفرع عظيمة هى :

١ — نشر الشريعة الإسلامية ليعلمها الناس وليعملوا بها .

٢ — المحافظة على اللغة العربية والنهوض بها وبآدابها .

٣ — الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

مكتبتنا العربية

وفى اعتقادنا أن هذه الرسالة الأزهرية لاتتغير ولا تتبدل ، فهى فى القرن العشرين هى أيضاً ذاتها فيما بعد القرن العشرين ، لأنها قائمة على أصلين ثابتين لايتغيران ولا يتبدلان هما (كتاب الله وسنة رسول الله) ، وإنما الذى يتغير ويتبدل هو كيفية أداء هذه الرسالة ، فهذه الكيفية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهى أمانة تاريخية كبرى تخضع المحافظة على كنوزها لما يراه الأمناء المصلحون .

* * *

(وبعد) فأنى أرى أن أختتم هذه الوجازة عن الأزهر بما يأتى :

١ — إذا كانت مصر خالدة بأهرامها فإنها أيضاً خالدة بأزهرها ، فكلاهما عنوان رائع لمصر يجب المحافظة عليه والعناية به ، وكلاهما مجد انفردت به مصر .

٢ — ليست علوم الأزهر ثمرة عقول أمة واحدة ، ولكنها ثمرة عقول أمم كثيرة عربية ، وفارسية ، ورومية ، وهندية ، ومصرية ، وغير ذلك من خير قرائح عقول الأمم التى لها قدم راسخة فى العلوم والآداب ، والتى هى عصارة أجيال متعاقبة للمسلمين أيام ازدهار ملكهم وسلطانهم على العالم .

٣ — إذا كان هناك عدو للأزهر فذلك العدو هم أعداء الإسلام والمستعمرون والأذناب المأجورون للمستعمرين ، أو بعض هؤلاء الذين لايعرفون عن دينهم الحنيف ولا عن لغة هذا الدين شيئاً .

٤ — لاندعى للأزهر الكمال التام فى كيفية أداء رسالته فى كل عصر من العصور ، فمن رأى يوماً من الأيام نقصاً فى كيفية أداء هذه الرسالة ، فالأزهر يرحب بالاستماع لكل متكلم ومناقشته ، للوصول إلى الحق ، إذا كان هذا المتكلم من الأمناء المخلصين الفاهمين لرسالة الأزهر ، والبعيدين عن الريب والأغراض الخاصة .

* * *

هذا ـ والله هو المرجو أن يكون فى عون العاملين المخلصين ، وأن يغفر للمتجنين على الأزهر ويهديهم الصراط المستقيم ... اللهم آمين . ؟

محمد الأسمر

مكتبتنا العربية

العلوم الحديثة فى الازهر

لا يزال الكثيرون من أبناء هذا الوطن وغيره لا يعلمون أن الدراسة فى الازهر ليست قاصرة على تدريس المواد الشرعية والعربية ، وأن هناك عددا غير قليل من مواد التربية والعلوم والرياضة والآداب تدرس فى معاهده الابتدائية والثانوية وكلياته . ونظرا لان تدريس هذه المواد فى الازهر جاء متأخرا على تدريس العلوم الشرعية والعربية فيه ، فقد غلبت تسميتها بالعلوم الحديثة . ففى أقسام التخصص تدرس مواد التربية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، وتدبير الصحة . وفى الاقسام الثانوية تدرس مادة الطبيعة بمختلف أقسامها وهى : خواص المادة ، والحرارة ، والكهرباء الاحتكاكية ، والديناميكية ، والمغناطيسية ، والصوت ، والضوء ، ومادة الكيميا ، بما يقرب من المنهاج المقرر فى المدارس الثانوية ، والتاريخ الطبيعى بقسميه النبات والحيوان ، ومواد التاريخ والجغرافيا ، والتربية الوطنية . وتوجد لدراسة هذه المواد على صورة عملية منتجة معامل مزودة بأحدث الآلات والاجهزة والخرائط ، وأصبح مألوفا أن تجد الطالب الازهرى يقوم بنفسه فى معمل معهده بإجراء التجارب المختلفة . وبعمليات التشريح ، وبالبحث بوساطة المجهر وبالفانوس السحرى ، مما جعل من اليسير عليه مجاراة التطور العلمى وفهم أسراره .

وفى الأقسام الابتدائية تدرس مواد الحساب ، والهندسة العملية والنظرية ، والجبر ، وتدبير الصحة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والسيرة ، والرسم ، فى توسع وفى اتفاق كبير مع وزارة التربية والتعليم من حيث المناهج ، بل إن طلبة القسم الابتدائى بالازهر يدرسون مناهج هذه المواد فى توسع يفوق المناهج المناظرة فى وزارة التربية والتعليم ، حتى إنهم يدرسون بأقسامهم الابتدائية بعض ما يدرسه طلبة الأقسام الثانوية بالوزارة ، وذلك ليتسع المجال أمام الازهريين فى أقسامهم الثانوية لدراسة العلوم الازهرية الأصيلة وهى المواد الشرعية والعربية .

ودراسة الازهريين لهذه العلوم الحديثة بجوار علومهم الشرعية والعربية تزيد من فهمهم لأسرار الحياة عن طريق عملى محسوس ، بل إن كثيراً من هذه

مكتبتنا العربية

العلوم تعتبر وسيلة أخرى من وسائل تدعيم الإيمان وتثبيت العقائد ، فما أجمل دراسة تجعل العلم فى خدمة الدين ، وتجعل الدين فى خدمة العلم . وما أجمل أن يزدان تطور العلم وتقدمه بآداب الدين وتعاليمه . فعندئذ فقط يصبح التطور العلمى خادماً للإنسانية غير هدام لها .

والأزهريون بدراسة هذه العلوم الحديثة يعيدون تاريخ أسلافنا من علماء العرب الذين سبقوا علماء الغرب فى الاشتغال بهذه العلوم ، بل إن التاريخ المنصف المحايد البعيد عن التمويه والغرض ليشهد بأن علماء العرب ساهموا إما بوضع أسس هذه العلوم أو بالأخذ بيدها ، وجعلها تسير بخطوات أوسع فى سبيل الحضارة العالمية والمدنية التى أساسها السلام والقيم الإنسانية ، وليس أساسها الدمار والحط من قيم الإنسان ، كما هو الحال فى عصرنا هذا الذى يسير فى طريق العلم المدمر ، لأنه طريق لا تحدوه الديانة ولا الإنسانية ولا السلام .

وإلى القارىء - على سبيل المثال لا الحصر - بعض العلوم التى ابتدعها العرب أو ساهموا فى تقدمها وتصحيح أخطائها ، وبالتالى فى النهوض بها . ففى القرن العاشر الميلادى أنشأ العرب المختبرات الكيماوية ، وكان من بينهم الكيميائيون : الطغرائى ، ومحمد بن زكريا الرازى ، وأبو منصور الهروى ، والسماوى ، وكان منهم متخصصون فى فروع كيمياء التغذية وتركيب الأدوية وصناعة السكر والزجاج والورق والصابون .

وكان من علماء العرب فى الطبيعة الحسن بن الهيثم خصوصاً فى علم الضوء والبصريات ، وقد عرفت وقتئذ المرايا الكرية والمرايا المحرقة والعدسة وكيفية الرؤية بالعين .

وفى علم الطب كتب العرب أقدم التصانيف عن الجدرى وحصى الكليتين والمثانة والوباء الأصفر والجرب ، ومن مؤلفاتهم فى الطب كتاب علاج الأمراض الطفيلية ، تأليف أحمد الطبرى وابن زهر ، وكتاب العلم بكيفيات الحياة تأليف ابن بطلان وابن الحسن ، وكتاب تداوى الأمراض النفسية تأليف أبى هند البغدادى ، وكتاب علم تداوى الحبالى والجنين تأليف القرطبى .

ومن العلماء الذين درسوا علم الحيوان : الأصمعى ، والجاحظ ، والدميرى ، والبيطار .

ومن علماء النبات أبو حنيفة الدينورى ، وابن الرومية ، وابن البيطار الكبير ، وابن ابراهيم الوزير فى القرن السادس عشر حيث كتب فى دور الزهرة فى التناسل .

مكتبتنا العربية

وفى الميكانيكا والهندسة استعمل علم الدين قيصر سنة ١٢٥١ قوة مجارى المياه وأنشأ النواعير والطواحين .

وفى علم الجغرافيا رسم الشريف الادريسى خارطة أوربا لملك صقلية ، ورسم أبو الحسن خارطة البحر الابيض المتوسط ، وصحح أبو سعيد الأندلسى أغلاط خرط بطليموس .

والعرب أول من صنعوا البوصلة وسميت بيت الأبرة سنة ١٢٨٢م ، وأول من اخترعوا الدفة ذات المفصل والإبرة المعنطة حيث تسنى لهم خوض غمار البحار . وكان ابن يونس سنة ١٠٠٩ م أول من استعمل الرقاص لقياس الوقت .

وفى القرن الخامس عشر اخترع الفلكى الفارس بن غياث الدين طريقة الكسور العشرية فى الحساب ، واستخرج العرب الجذور التربيعية والتكعيبية والتناسب ومعظم العمليات الحسابية .

ومن علماء الجبر الماهانى فى القرن العاشر ، والكوهى فى القرن الحادى عشر ، وابن الجود ، وابن بدر ، وعالج ابن البناء المسائل الحسابية وقسم المواريث ، وكان محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المأمون من أول علماء علم الجبر .

إن من واجب الاساتذة توجيه أنظار طلبتهم إلى سبق العرب علماء الغرب فى كشف كثير من العلوم ، ومن واجبهم أيضاً كشف هذا الزيف فى التاريخ الذى جعل السابق لاحقا ، واللاحق سابقا .

ومن واجب دور العلم أن تسجل هذا الفضل لعلماء العرب بصورة ولو بسيطة : كأن تطلق الجامعات والمعاهد على معمل الطبيعة مثلا معمل (الحسن بن الهيثم) وعلى معمل الكيمياء (معمل جابر بن حيان) وهكذا .

وفى هذه التسمية تخليد لفضل هؤلاء الذين اجتهدوا والذين سبقوا ، وتصحيح للتاريخ الذى طرأ عليه الغرض ، وغلبت عليه التعمية ، والله الموفق إلى كل ما فيه الخير ؟

عبد العظيم أبو غنيم

مراقب العلوم المساعد بالأزهر

مكتبتنا العربية

حملة ظالمة

يتعرض الأزهر هذه الأيام لحملة ظالمة... يقال عن الأزهر اليوم : إنه لا يؤدى رسالته الدينية ، ولا ينشر فكرة الدين فى كل مكان من العالم ، وأن مستوى التعليم فيه منخفض ، وأنه يتعين على من يريد أن يدرس فى الأزهر أن يلتحق بالمدارس الابتدائية العامة والثانوية ثم الجامعة ، فإن بقى له متسع من الزمن والعمر ، فليلتحق بعد ذلك بالأزهر الشريف ، ليتعلم الدين ، بعد أن يكون قد فرغ من دراسة اللغات والطبيعة والكيمياء وذلك الحشد من العلوم التى يضيق بها طلبتنا فى المدارس العامة .

والفكرة التى يرمى إليها الكتاب - وإن لم يعبروا عنها صراحة - هى أن الأزهر لم يعدله مكان ، فهم يريدون شيوخا «مودرن» وينسى الجميع أن الأزهر قد خرج محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهلباوى ، وحسونة النواوى ، وذلك الرعيل الأول من الشيوخ الذين وقفوا فى وجه الفرنسيين وغيرهم ، وكانت حياتهم هى الصفحة المضيئة المشرقة فى تاريخ مصر ، وكان عماتهم — والأمثلة كثيرة — صفحة بطولة لن تنساها الأجيال .

إن هناك نحو عشرين ألف طالب يدرسون بالأزهر ، ولا تتسع لهم الجامعات ، ونحن لا نريد أن ينبغوا جميعا فى الجغرافيا والطبيعة ، وإنما نريدهم أن يبقوا فى محيطهم ، ينشرون الدين بعد تخرجهم ، ويحفظون اللغة العربية كما حفظها أسلافهم من قبل . ولولا الأزهر لكانت لغتنا نسياً منسيا ، أما أولئك العباقرة الذين استطاعوا أن يتقنوا اللغات مع علوم الدين ، وتفقهوا فى علوم أخرى كثيرة ، فهؤلاء يجود بهم الدهر كل حين ، ولا يمكن — لأى معهد كان — أن يخرج منهم عشرات أو مئات أو ألوفا ، بل حسبنا أن ينبغ فى الأزهر عدد قليل ، بل حسبنا واحد فى كل جيل يحقق لبلاده ولمعهده مجداً كبيرا ، والتاريخ يحفظ لنا فى مصر والخارج أسماء أفراد استطاعوا أن يغيروا التاريخ ويحولوه عن مجراه .

هناك أموال أوقفت على الأزهر ، وهناك رسالة واحدة للأزهر : هى نشر اللغة والدين ، فإن كان هناك تقصير ، فالتقصير فى كل نواحى الحياة قائم ، وهو فى التعليم قائم كذلك ، والعلاج لا يكون بالإلغاء ، وإنما بالتدعيم ، وله صوره وأشكاله ومظاهره ، يعرفها الذين يدرسون فى الجامعات أو الذين تخرجوا منها . . وأعود فأقول : إنها حملة ظالمة ، وإن عدتم عدنا ؟

دكتور محمد محفوظ
الوكيل السابق لجامعة الإسكندرية

مكتبتنا العربية

هذه هى الخطوة الثانية

فما هى الخطوة الثالثة ؟؟

ليس بغريب على طه حسين أن ينشر مقالا طويلا تتسع له أعمدة كثيرة من جريدة الجمهورية ، يطالب فيه بإلغاء الأزهر ، فإن طه حسين قد وقف حياته على محاربة الأزهر ، ولم يصل إلى متاع الحياة الدنيا الذى وصل إليه إلا بالطعن فى علومه ؛ والنيل من علمائه ، ومناصرة الملاحدة الخارجين عليه ، وتأييد المناوئين له ، فهل تهيأ له ذلك جهات حانقة على الإسلام ، كارهة لمبادئه ، ساخطة على نظمه ، معتقدة أنه لن يقر لها قرار فى استعباد الشرق الإسلامى مادام فيه هذا الأزهر المعمور ؟ !

ولكن ياترى ! هل هذه هى الخطوة الثانية وتقف عندها الخطى ؟ أم تكون الخطوة الثالثة لطه حسين هى المطالبة الملحة المسرفة فى الإلحاح بإلغاء الإسلام أيضاً وتوحيد الأديان ؟ ؟

إن طه حسين لن يعدم علة يعتل بها حينذاك ؛ ولن يعجزه أن يزعم أن الأديان تقف حجر عثرة فى سبيل نهضة الأمم ، وأنها تفرق بين أبناء الوطن الواحد ؛ وطه حسين قرأ طبعاً قصة الذئب والحمل .

هل صحيح - يامن زعموه زعيما للأدب العربى - أن طلاب الأزهر يتعلمون لا كما يتعلم الناس ، ولا كما ينبغى أن يتعلم الناس ؟

ماذا يتعلم طلاب الأزهر ؟ أليسوا يتعلمون علوم القرآن العظيم واللغة العربية ؟ إن كانت هذه العلوم لايتعلمها الناس فقد وجب على المسلمين أن يتعلموها . فعلمها واجب ، وجهلها ضلال مبين .

وإن زعم طه حسين أنه لا ينبغى أن يتعلمها الناس فماذا ينبغى لهم أن يتعلموه حينذاك ؟ أيتعلمون التمثيل والرقص ، ويتخرجون من مدارس الفن ، ويتفننون فى الإباحية والإلحاد ، ويسبحون بحمد فرنسا ولغتها وثقافتها وأدبها وأدبائها ، ويعرفون مالا يعرفه الأمريكان عن أمريكا ، ليرضى عنهم طه حسين ، ويصرخ بملء شدقيه : أنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ؟

مكتبتنا العربية

إذا كانت علوم الأزهر لاتدخل فى حياة الناس يادكتور فلا نقول لك : كبر على نفسك أربعا وأنت حى ، لأنا نعلم أنك لاتحب التكبير ، ولا من يعلم الناس التكبير والصلاة ، وإنما نقول لك : اذهب إلى الحى اللاتينى فى باريس المستولية على مشاعرك والحد نفسك هناك ، فإن الشىء الوحيد الذى زعموا أنك تحسنه هو الأدب ، والأدب شىء كذلك ليس هندسة ولا صيدلة ولا تجارة رائجة يازعيم الأدباء !!

أما بعد : فقد ارتكبت يادكتور الاساءة إلى وطنك ، وبلبلت الأفكار حول مصر زعيمة العروبة والإسلام ، فالله حسيبك . . . ؟

عبد القادر شيبة الحمد
من خريجى الأزهر

نشيد طلبة الازهر

نحن شبان البلاد نحن رمز الأمل
للعلا . للجهاد عدة المستقبل

نعبد الله كما شاء الإله نرتضى من كل شىء ما ارتضاه
جل رب الخلق لا رب سواه لا نرى هديا لنا غير هداه

نحن طلاب المثال الأكمل وبنو أهل المقام الأول
حسبنا هدى الكتاب المنزل وتعاليم النبى المرسل

إنما الأزهر نور يهتدى بهداه الناس فى دنيا ودين
وهو للأوطان طول الأبد نبعها الفياض ، والحصن الحصين

ربنا نعطيك عهد المخلصين أن نكون العاملين العاملين
فأعنا إنما أنت المعين واهد يارب جميع العالمين
واهد يارب جميع العالمين

محمد الأسمر

مكتبتنا العربية

الأزهر للدين أولا

نبتت فى هذه الأيام دعوة إلى توحيد التعليم ، ونادى بهذه الدعوة المنحرفة أناس غير مسئولين . وهدفهم من ذلك محو التعليم الدينى الذى قام عليه الأزهر منذ مئات السنين ، ويتخذون من إدماج التعليم الدينى بمرحلتيه الابتدائية والثانوية فى مثلهما من التعليم المدنى وسيلة إلى ذلك .

ولا يعلم إلا الله مآل المرحلة الأخيرة فى الأزهر . فقد لا يرون ثمة حاجة إلى كلية للشريعة ولا إلى كلية للغة العربية . ولا ندرى أيضنون على كلية أصول الدين بالبقاء أم يتعطفون عليها ويحمونها من معول الهدم الذى يستخدمونه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

ألا إن الأمر جد وليس بالهزل ! إن مصر قبلة المسلمين فى العلوم الدينية ، وامتازت منذ عصور الإسلام الأولى إلى اليوم بكثرة حفاظها للقرآن ، وأولئك الذين يدعون إلى هذا الادماج الغريب ، بل إلى هذا الهدم العجيب ، يريدون أن يهدموا الأزهر لكى تزول عن مصر مكانتها الدينية ، فلا تكون فيها تلك المنارة التى يتجه إلى ضوئها المسلمون فى كل بقاع الأرض .

إن أولئك لا يريدون الإسلام وقاراً ؛ لأنه ما بقى الأزهر قائما فهو الجامع للمسلمين ، وهو نواة وحدتهم ، ولقد اكتسبت به مصر فخاراً فى الماضى ، عند ما استولى التتار على بغداد ثم بلاد الشام ، فجاء إليه علماء الشرق يجدون فيه المأوى والمورد العذب والمستضاف الكريم .

مكتبتنا العربية

وكذلك كان أمره عند ما أغار الصليبيون فى المغرب على الأندلس ، فقد أوى إليه علماء المغرب ، ووجدوا فيه الضيافة الكريمة التى وجدها علماء المشرق .

فكان ملتقى علماء المسلمين أجمعين .

* * *

وقد كان للأزهر مواقف وطنية خالدة ، سجلها له التاريخ ، وما زالت صورها ماثلة فى الأذهان .

يريد أولئك أن يذهبوا بهذا التراث الخالد ، والمعقل الوطنى التالد .

ثم إذا هدم الأزهر ذلك الهدم فما الذى يحمى القرآن الكريم ، وينشر تعاليم الدين ؟ لعل منع حفظ القرآن غاية من غايات أولئك الدعاة ، ومقصد من مقاصدهم ، هم ومن يكتبون لحسابهم من أعداء الإسلام .

إن يريدون بتوحيد التعليم إلا هدم الأزهر ، ومنع حفظ القرآن الكريم ، وسد الطريق على الوحدة الاسلامية ، ويأبى الله إلا ما يريد .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

أحمد حمزة

وزير التموين الأسبق

مكتبتنا العربية

الأزهر

أفضل جامعات الدنيا

أنشىء الأزهر فى مصر ، فكان خلفاً من جامعها الأعظم ، ومعهدها العلمى الأول ، جامع عمرو ثم جامع ابن طولون ، وبذلك كان الأزهر لمصر كنيلها العذب ، على كل منهما حياتها ورخاؤها ، ولا بد من كل منهما لبقائها ، وإلا فنيت ، وصارت صحراء جرداء لا حيوان بها ولا نبات ، فعلى النيل حياتها المادية ، ينبت به الزرع ويدر الضرع ، ويعيش عليهما الإنسان ، وعلى الأزهر حياتها المعنوية ، فيه قوام الدين وتثقيف العقل ، وتهذيب الفكر ، ورفع مستوى الإنسان من الحيوانية المجردة من الروح ، إلى الحيوانية ذات الروح العالية ، والنفس الزكية الطيبة .

والناظر فى ملكوت السموات والأرض ، إما أن يهديه تفكيره إلى وجود الله الذى خلق هذا الكون ودبره ، وإما أن يكون ملحداً دهرياً لا يعتقد بوجود الصانع ، ولا يقر بوجود الإله ، وللأزهر عند الفريقين مكانته ، يوقن بها الفريق الأول بقلبه ويعترف بها بلسانه ، ويحسها الفريق الثانى إحساساً يصل إلى أعماق نفسه ، ولكنه يجحدها ويحاول إخفاءها بلسانه .

وليس ذلك بمجديه شيئاً ، فالحقائق الثابتة ، لا تطمسها الألسنة ، كما لا تطمس الجبال الرياح ، مهما اشتدت ومهما عصفت ، وإنى أثبت هنا أثر الأزهر فى النواحى الآتية :

١ — العقيدة الدينية :

الدين الإسلامى جاء بتوحيد الله وبالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وحث على التراحم والتعاطف والتسامح والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وحرم الفواحش ، ومنع الغش ، وضرب على أيدى المرتشين ، وأنشأ للناس دنيا جديدة يسودها الحب والإخاء ، وتزينها الأمانة والعفة والنزاهة ، وتسمو بها قوة النفس وقوة البدن والنشاط

مكتبتنا العربية

وعدم الخول ، فدراسة هذه التعليمات سواء كانت عقيدة أو غير عقيدة ، هى أرقى أنواع الدراسة ، وأفضل أنواع التعليم ، وكيف يحيد العاقل عن اعتقادها ، وفيها كل الخير للأفراد والمجتمعات ، وإذا كانت هذه التعليمات خيراً كلها ، فواجب على الناس معرفة جملتها وتفصيلها ، أما جملتها فقد ذكرناها ، وأما تفصيلها فمثل عدد ركعات الصلاة ، ومقدار الزكاة ، وشروط الصيام وواجباته ، وكذلك الحج ، وحد الربا والغش ، ودرجة النزاهة والعفة ، إلى غير ذلك مما تقتضيه المحافظة على تنفيذ أى قانون سماوى أودنيوى ، وقد قام الأزهر بهذا النوع من التعليم قديماً وحديثاً على أتم وجه ، وأقوم سبيل .

٢ — اللغة العربية :

اللغة وسيلة التخاطب ، وفهم مراد الخلق بينهم وبين أهل وطنهم ، وبينهم وبين أهل الأوطان الاخرى . وإذا كان الإسلام جاء بالخير كما مر آنفاً ، وجاء كتابه باللغة العربية ، وجاء رسوله بها أيضاً وشرح كتابه بها ، فواجب على الناس ليصلوا إلى معين الخير من الكتاب والسنة أن يعرفوا لغتهما حتى يفقهوا ما فيهما من خير وبر ، وحتى يستطيعوا العمل به طلباً لمنفعتهم وحرصاً على صالحهم ، ولو أن القرآن لم ينزل من عند الله ، والحديث لم يصدر عن الرسول ، لكان لزاماً على العقلاء أن يتعلموا لغتهما ليصلوا إلى ما فيهما من تعليمات هى الغاية العظمى لقيام دولة قوية عادلة ، يصل كل فرد فيها إلى حقه ، ويحظى بنصيبه من غير جور ولا عنت ولا استخذاء ، والأزهر باعتراف جاحدى فضله ، أول جامعة وأفضل مدرسة ، تقوم بدراسة اللغة العربية على أقوم طريق ، وأوسع مجال . ولولا فضل الأزهر على اللغة العربية لما بقى لها كيان إلى الآن ، فلا توجد دولة تتكلم العربية على خير وجوهها كما تتكلمها مصر ، والفضل فى ذلك للأزهر .

وإذا كان الناس يتعلمون الفرنسية والروسية لدراسة الأدبين الفرنسى والروسى والتمتع بما فيهما من خيالات راقية ، وآفاق واسعة ، وتجارب فى الحياة نافعة ، أفلا يكون الأجدر بالمسلمين والعرب تعلم العربية للوصول إلى ما فى القرآن والحديث من أحكام ومواعظ يترتب عليها سعادة المجتمع ؟

٣ ــ علوم الكلام والفلسفة والمنطق :

إن ما جاء به القرآن ، وأتت به السنة من الخير ، كان وما يزال عرضة لهجوم المتحللين والملحدين ، الذين لا يريدون أن يقيدوا أنفسهم بأى قيد ، بل يريدون أن يكونوا فى الدنيا كالسائمة ترعى حيث شاءت ، فكانوا وما زالوا يرمون الدين بكل قاصمة ، ودراسة علم الكلام والفلسفة والمنطق فيها عرض لآرائهم ورد عليهم ، ومقابلة حججهم الواهية بالحجة الدامغة ، وإلقامهم الأحجار فى أفواههم ، حتى لا يتعدوا قدرهم ، ولا يبرحوا مكانهم ، وبعد ذلك فى دراسة هذه العلوم توسيع المدارك ، والوصول إلى القضايا العلمية دنيوية وأخروية من طريق صحيح لا تعكر عليه السفسطة ، ولا تؤثر فيه الشعوذة ، لأن معرفة أسلحة الخصم سبيل إلى معرفة أفضل أساليب الدفاع ، وسعة المدارك وقوة الحجة رفعة شأن وارتفاع بمستوى الانسان إلى حيث ينبغى أن يكون .

٤ ــ الرياضة : الحساب والجبر والهندسة :

يدرس الأزهر هذه العلوم لحاجته إليها فى علوم الدين كالميراث ومواقيت الصلوات وغير ذلك ، ولحاجته إليها دنيوياً ، لأن العالم الدينى ينبغى ألا يكون جاهلا بأمور الدنيا ، حتى يستطيع أن يفتى على علم إذا أفتى فى أمر دينى يتعلق بأمر دنيوى ، والأزهر يدرس هذه العلوم كما تدرسها المدارس المدنية ، بل إن طلاب الأزهر يفوقون إخوانهم طلاب مدارس وزارة التربية والتعليم ، وقد شهد بذلك أساتذة تخرجوا من وزارة التربية والتعليم ، ودرسوا للأزهريين ، فوجدوا تفوقا فى العقول وتفوقا فى القدرة على العمل المتواصل وعدم الملل ، وتفوقا فى احترام التلميذ لاستاذه وتوقيره له .

٥ ــ الجغرافيا والتاريخ والفلك :

يدرس الأزهر الجغرافيا والتاريخ كما تدرسها وزارة التربية ، ويزيد الأزهر توسعا فى التاريخ ، فيدرس سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وسيرة أصحابه ، وهذه الدراسة ولا شك من أنفع أنواع الدراسات ، لأنها تغرس صفات الخير والشجاعة والرجولة فى نفوس التلاميذ الصغار ، وهذه أفضل أنواع التربية الوطنية التى يحرص عظماء العالم على دراستها لشعوبهم ، والفلك لا يدرس فى مدارس الوزارة بل يفضل الأزهر به الوزارة ،

مكتبتنا العربية

والأزهرى إذا درس الجغرافيا أصبح أقدر من غيره على تفسير آيات القرآن ، وبعض الأحاديث المشتملة على مظاهر كونية قد يفهمها بعض الناس على غير حقيقتها ، ويستطيع الأزهرى أن يوفق بين العلم الحديث والعلم القديم ، ويقف الناس على ما كانوا يختلفون فى فهمه وتحدث بينهم المعارك والمشاحنات بسببه .

٦ — فضل الأزهر على مصر :

لم ينبغ فى مصر عالم ، ولم يظهر فيها وطنى منذ أنشىء الأزهر إلى الآن إلا وهو أزهرى أو فى عروقه دم أزهرى ، فالأزهر هو الذى قاوم الفرنسيين والإنجليز والمماليك والأتراك وغيرهم ، وهو الذى حفظ لهذا الشعب كيانه ومعالمـــه ، وجعله على طول ما حاق به من إهانات وما سدد إليه من سهام شعباً كريما قائما على قدميه ، ولولا تعليم الأزهر ما أنشئت الجامعات ، فقد كان أساتذتها كرفاعة رافع الطهطاوى وزملائه وتلاميذه من الأزهر أو ممن تلقوا تعليمهم أول أمرهم فى الأزهر ، ولا تكاد تجد متعلماً ذا شخصية وقوة حجة إلا وهو أزهرى أو تأثر بغرس أزهرى ، فسعد زغلول ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، ولطفى السيد ، وغيرهم ، لولا الأزهر ما كانوا كذلك ، ولظهر فيهم ضعف المدنية الحديثة ، وميوعة الاستعمار .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧ — فضل الأزهر على المسلمين :

لقد حافظ الأزهر على القرآن الكريم ، يدعو إلى تعلمه وتعليمه ، واشترط فيمن يريد دخول معاهده أن يكون حافظا للقرآن ، فإذا دخل الأزهر درس تجويد القرآن وأحكامه وتفسيره ، ولقد عنى الأزهر بالحديث النبوى الشريف ، وفيه شرح القرآن وأحكام الدين ، فأوجب على طلابه حفظ كثير منه . وفهم معانى أكثره ، وحافظ على العقيدة الإسلامية بدراسة أصولها والدفاع عنها ، ورعى حقوق المجتهدين فى الاحـــكام الشرعية فدرس مذاهبهم ، وقارن بينها ، وبين الأقوى منها والأضعف ، ولولا الأزهر لضاعت لغة القرآن ، فقد شملها الأزهر بكل رعاية ، وحاطها بكل ضمان ، فأمهات كتب النحو والصرف والبلاغة والأدب لا تدرس درسا متقنا إلا فيه ، ولا يستطيع متعلم مهما ادعى من التبحر والتحقيق أن يصل فى علوم العربية إلى ما يصل إليه الأزهرى ، وأمامنا الدلائل القاطعة ،

فغير الأزهرى لا يستطيع تقويم لسانه وحمله على مراعاة قواعد اللغة ، وإذا تكلم بضع كلمات صحيحات تعثر لسانه بعد ذلك وأكدى بيانه ، وهذه الدول العربية تستعين بالأزهر وترجو رفده ، وستكون النهضة العربية الحديثة قائمة على أكتاف الأزهر ، وقد وهب الأزهر مصر شرفا عاليا ، وجاها عظيما ، ظهر أثره فى رحلة الأستاذ الباقورى إلى الصين ، ورحلة نائب رئيس الحكومة إلى أندونيسيا ، ولا يجحد فضل الأزهر على مصر والعرب إلا ملحد أو منافق أو مأجور أو ذو هوى ، لقد جعل الله الأزهر حصنا للدين واللغة والأخلاق الكريمة ، ولكن الاستعمار وأذنابه والملحدين والمنافقين يريدون إطفاء نوره بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

٨ — الأزهر يتعلم أفضل مما يتعلم الناس :

لقد قال طه حسين . إن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولقد ظهر مما قدمته أن الأزهريين يتعلمون أفضل مما يتعلم الناس ، فقد جمعوا فى تعليمهم بين القديم والحديث ، وفاقوا فى الحديث من تخصصوا فيه ولم يفقهوا شيئا من القديم .

الأزهرى يتعلم القرآن حفظا وتفسيرا وتجويدا ، والحديث حفظا وفهما ، والفقه وأصوله ، والتوحيد والمنطق والفلسفة ، والنحو والصرف والبلاغة ، والتاريخ والجغرافيا والفلك ، والحساب والهندسة والجبر ، والعروض والقوافى ، وطرق التدريس (التربية العلمية والعملية) وعلم النفس ، والرياضة البدنية ، وكل ما يسمو بالنفس البشرية ويقربها من درجات الكمال ؟

طه الزبى
أستاذية فى النحو والصرف

مكتبتنا العربية

الأزهـــــر

« والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

فى القرن الرابع من الهجرة استعرت الدولة العباسية على الانقسام ، وقامت دول مستقلة فى كثير من ولاياتها ، وخسرت بغداد ما للعواصم من المزايا ، وصارت القاهرة قاعدة الإسلام الحقيقية [١] ومرجع هذه الزعامة بلا ريب إلى الجامع الأزهر . وهو أول جامع أسس بالقاهرة المعزية التى أنشأتها الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩ هـ ، وأول من حاول جعله جامعة علمية هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وأول ما عمله فى هذا الشأن أن بنى بجواره دارا لجماعة من الفقهاء ، وعدتهم خمسة وثلاثون فقيهاً ، فكانوا يجتمعون بالمسجد كل يوم جمعة عقب صلاة الجمعة ، فيقرءون القرآن إلى صلاة العصر ، ثم ألقيت فيه الدروس الدينية واللغوية فى سنة ٣٧٥ هـ ؛ وقد تقلبت على الأزهر أحوال سياسية باختلاف الدول والملوك ، كانت تقتضى أحياناً تحويل الدراسة عنه إلى غيره من المساجد والمدارس لكن على أساس الاستعانة بطلابه وبعض علمائه .

ومنذ افتتح صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ بعد أن استولى الإفرنج عليه إحدى وتسعين سنة ثم فتح الشام كلها واستنقذها من أيديهم ، صارت مصر والشام دولة واحدة وشعباً واحداً ، وصارت المدارس والمساجد تبعاً لذلك طرازاً واحداً يستمد من علم الأزهر وعلمائه . ومن أبرز هؤلاء العلماء العز بن عبد السلام ، ومحيى الدين النووى ، وغيرهما من الأئمة الأعلام . فمن حق الأزهر أن يذكر بهم ، ومن حقهم أن يذكروا به .

ولما كانت الغاية من العلم هى تبيينه للناس وأمرهم بالعمل به كما قال الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، وإذ يقول : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »

---

[١] حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ١٦٠ .

مكتبتنا العربية

وكان حاصل ذلك هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فسننظر على ضوء ما سمحت به أنباء التاريخ الذى ما دون للعلماء بل للملوك والأمراء كيف وقف هؤلاء العلماء الربانيون ، والأولياء الصادقون ، فى وجوه الطغاة ، مواقف من لا يخشى أحداً إلا الله .

روى السبكى فى طبقات الشافعية له [١] أن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضاء فى الديار المصرية للملك العادل [الأيوبى] بعد عنده [العادل] وهو فى دست ملكه مراراً ، والقاضى يسوف فى قبولها ، فنفطن العادل لذلك ، فقال له : هل تقبلنى أم لا ؟ [٢] فقال : لا أقبلك ، وكيف أقبلك ، وفلانة تطلع إليك بجنكها [٣] كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى ، وتنزل فلانة من عندك أنحس مما نزلت الأولى . فتناوله الملك العادل بكلمة شتم ، فردها عليه فى وجهه ، ثم عزله . ونزل إلى بيته معزولا ، فخشى العادل من رد شهادته ، وخشى أن يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس ، فنزل بنفسه إلى منزل القاضى ، وترضاه ، وأعاده إلى القضاء .

وفى كتاب النصيحة بما أبدته القريحة للشيخ أحمد المنوفى [٤] أن عبد الصمد الدمشقى لما تولى قضاء دمشق تداعى إليه خصمان ، فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب ، فبلغ العادل ذلك . فقال : صدق . كتاب الله أولى من كتابى .

ولقد كان لمثل هذين الموقفين أثره على سلطان العادل ، فلم يبق فى الملك إلا سنتين وثلاثة أشهر حيث خلع فى سنة ٦٣٧ هـ ثم قتل بعد ذلك وتولى مكانه أخوه الصالح نجم الدين أيوب .

ومواقف العز بن عبد السلام من ملوك بنى أيوب ومن بعدهم من المماليك الأتراك مما لا يستطيعه إلا ورثة الأنبياء الذين باعوا أنفسهم لله ببيع السماح ، فحينما تنازع الملك الصالح إسماعيل ونجم الدين أيوب ، واستولى الصالح على دمشق ، ونجم الدين على مصر ، اصطلح الملك الصالح مع الإفرنج على أن يجدوه على نجم الدين ، وسلم إليهم صيدا وبعض

[١] وتاريخ الاسحاق ص ١٢٦ النسخة المهمشة .
[٢] أى هل تقبل شهادتى أم لا ؟
[٣] آلة من آلات الطرب .
[٤] نقلا عن المرجع السابق .

مكتبتنا العربية

القلاع والحصون ، ودخلوا دمشق لشراء السلاح . وقد كان جعل خطابتها للعز . فما كان منه إلا أن أفتى بتحريم بيع السلاح لهؤلاء لأنهم سيقاتلون به المسلمين ، وقطع خطبة الصالح ، وزاد فى آخر خطبته قبل أن ينزل من المنبر « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك . وينهى فيه عن معصيتك [١] » ، والناس يبتهلون بالدعاء والتأمين ، فاعتقل الشيخ ثم أطلق ، فنزح إلى بيت المقدس ، فأمره صاحب نابلس . ولما طلب منه ليعود إلى مناصبه وأكثر مما كان عليه أن ينكسر للسلطان ، ويقبل يده ، قال لمن ساومه على ذلك : ولكن يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدى فضلا أن أقبل يده . يا قوم : أنتم فى واد وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به .

ولما تحول إلى مصر وأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب ، وفوض إليه كثيرا من الامور ، وولاه الخطابة والقضاء ثم التدريس بالمدرسة الصالحية لم يمنعه ذلك أن يأمره وينهاه على رءوس الأشهاد . قال الباجى : طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان نجم الدين أيوب فى يوم عيد بالقلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، وقد خرج على قومه فى زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه ، فالتفت الشيخ إليه وناداه : يا أيوب . ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى ذلك ؟ قال : نعم . الحانة الفلانية تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ، يناديه كذلك بأعلى صوته ، والعساكر واقفون . فقال : يا سيدى . هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى . فقال : أنت من الذين يقولون : « وجدنا آباءنا على أمة » . فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة . قال الباجى : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى . كيف الحال ؟ فقال : يا بنى رأيته فى تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ، فقلت : ياسيدى ، أما خفته ؟ فقال : والله يا بنى ، استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط [٢] . وقصة فتواه بأن المماليك أرقاء وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت المال إلى أن ذهب إليه كبيرهم (نائب السلطنة) شاهرا سيفه مقسما أن لابد أن يقتله إلى أن طرق عليه بابه وقوله

---

[١] اقتبسه من دعاء سفيان الثورى فى صدر الدولة العباسية . انظره فى الحلية لابى نعيم جـ ٧ ص ٨١

[٢] من أخلاق العلماء ص ١٢٤ ببعض اختصار .

مكتبتنا العربية

لولده حين خوفه به : يا ولدى ، أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله . وخروجه إليه كالقضاء النازل حتى أيبس يده وأسقط السيف منها وأرعد فرائصه وأبكاه وأخضعه لحكمه فيه وفى سائر المماليك من المعروف المأثور ، وتفصيل هذه القصة فى طبقات الشافعيـــة [١] .

ولما خرج الظاهر بيبرس صاحب الوقائع المشهورة مع التتار ثم الصليبيين استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فأفتوه ، إلا النووى فإنه امتنع ، وكلمه كلاما شديداً ، فغضب منه ، وأمره بالخروج من الشام . فخرج إلى بلده نوى ، ثم رسم برجوعه فامتنع ، وقال : لا أدخلها والظاهر بها . فمات الظاهر بعد شهر سنة ٦٧٦هـ بدمشق [٢] . ومن تتمة القصة أنه سأله عن سبب امتناعه ؟ فقال : أما أعرف أنك كنت فى الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم من الله عليك ، وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من الذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلى . فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا من الحوائص ؛ وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية [٣] ويروى نحو هذه القصة مع الشيخ عز الدين فى مثل هذا المقام لكن مع الأمير قطز [٤] .

وكثير من المثقفين فى هذا العصر الذين غذتهم المدارس والجامعات المدنية بكل شىء إلا مبادىء الإسلام ومآثر الأسلاف ، يجهلون أن قادة الشعب وزعماءه الذين كانوا يواجهون الطغاة بالنصيحة والزجر ، ثم بالنفوس والأرواح ، لم يكونوا إلا من هؤلاء العلماء .

روى الجبرتى أنه لما حضر حسن باشا الجزائرلى إلى مصر ، وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاعماً أنهم أرقاء لبيت المال ، اجتمع الأشياخ ، وذهبوا إليه ، فكان المخاطب له الشيخ محمد أبو الأنوار قائلا له : أنت أتيت إلى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان

---

[١] وقد أوردها صاحب أخلاق العلماء بطولها ص ١٧٥ وص ١٧٦ عن الطبقات حـ ٥ ص ٨٤ .
[٢] من تاريخ الشرقاوى على هامش الاسحاقى ص ١٢٨ .
[٣] أخلاق العلماء ص ١٧٩ . [٤] الشرقاوى ص ١٢٥ .

مكتبتنا العربية

إلى إقامة العدل، ورفع الظلم كما تقول. أو لبيع الأحرار، وأمهات الأولاد، وهتك الحريم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال. فقال له: هذا الأمر لا يجوز، ولم يقل به أحد، فاغتاظ غيظاً شديداً، وطلب كاتب ديوانه، وقال له: اكتب أسماء هؤلاء، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره. فقال له أحدهم: اكتب ما تريد. بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا، فأفحم، وانكف عن إتمام قصده، وتتبع أموال الأمراء وودائعهم. وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند أبي الأنوار وديعة، فأرسل يطلبها، فامتنع عن دفعها قائلا: إن صاحبها لم يمت، وقد كتبت على نفسي وثيقة، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة، فاشتد غيظ الباشا منه، وقصد البطش به، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق. فكان يقول: لم أر في جميع الممالك التي وليتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل. فإنه أحرق قلبي [1].

ومن الذي يعرف أن الشيخ الدردير رضي الله عنه كان قائد ثورة يخشى بأسه الظالمون، ويخضع لأمره الغاصبون.

روى الجبرتي أنه في عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى سالما الجزار ونهبوه حتى حلي النساء والفرش، فثار أهل الحسينية واتجهوا إلى الجامع الأزهر، ومعهم طبول، وانضم إليهم كثير من العامة، وبأيديهم نبابيت ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير باعتباره شيخ العلماء، فساعدهم بالكلام، وقال لهم: أنا معكم، فخرجوا من نواحي الجامع، وأقفلوا أبوابه، وانتشروا بالأسواق وغلقوا الحوانيت، وأخذوا يصيحون ويدقون الطبول، وقال لهم الشيخ الدردير: في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة، ونركب معهم فننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم. فما كان من الأمراء إلا أن حضروا إليه، راغبين في الصلح، خائفين من تضاعف الحال [2].

وبعد ذلك بتسع سنوات تزعم شيخ الأزهر الشيخ الشرقاوي ثورة أخرى على هؤلاء الأمراء، كان سببها أنه حضر إليه أهل قرية بشرقية بلبيس. وذكروا أن أتباع محمد بك الألفي ظلموهم، وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه، فاغتاظ الشيخ من ذلك، وجمع المشايخ، وقفلوا

---

[1] الجبرتي حـ ٣ صـ ٢٠١ وانظر أخلاق العلماء صـ ١٧٩.
[2] الأزهر في ألف عام: الخفاجي بتصرف واختصار حـ ١.

مكتبتنا العربية

أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب مراد بك وإبراهيم بك ، ولم يبديا شيئاً ، وأمر الشيخ الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ، ثم ركبوا ثانى يوم إلى بيت السادات ، وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبركة بحيث يراهم إبرهيم بك . فأرسل إليهم يسألهم عن مرادهم . فقالوا : نريد العدل ، وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها . فقال : لاتمكن الإجابة إلى هذا كله ، فإنا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش ، فقالوا : ليس هذا بعذر عند الله ، وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ .

ثم انفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر ، واجتمع أهل الأطراف ، وباتوا فيه . فما كان من مراد بك إلا أن عاد فخطب ودهم وطلب منهم الصلح [١] .

والحديث عن سائر مواقف علماء الأزهر فى وجوه الظالمين والغاصبين ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، مجاهدين فى سبيل الله ، مما لايتسع له المقام . وفى عدد صفر من هذه المجلة نبذ صالحة من مواقف خالدة للشيخ حسن العدوى ، وشيخ الإسلام الإنبابى ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمد بخيت ، وشيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وشيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم . وإنه لايزال يرن فى الآذان صوت شيخنا الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله وهو يجلجل على صفحات الأهرام آمرا بالصون والعفاف ناهياً عن المجون والاستهتار ، إلى أن يواجه فوزية أخت فاروق وبنت فؤاد فيما أعلنت عنه من إقامة حفلة ساهرة لجمع التبرعات لعمل من أعمال البر على طريقة ذلك الأوان بقوله :

إحدى لياليك فيسى هيسى لاتنعمى الليلة بالتعريس

وبعد - فإنا لنرد غرب القول أن يفيض فى وصف أثر الأزهر فى بناء الأمة الإسلامية عامة والمصرية خاصة بناء استطاعت به أن تواجه جحافل التتار ، وجيوش الصليبيين ، وأن تزلزل به أقدام الفرنسيين ، وتقض به مضاجع الانجليز الغاصبين . وهو حديث لاينكره ولا يغض منه إلا كل من يجادل فى الحق بعد ماتبين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؟

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

[١] المرجع السابق ببعض اختصار ج ١ ص ٨٥ .

مكتبتنا العربية

تمثيل مصر والأزهر

فى افتتاح المسجد النبوى الشريف

بعـــد توسعته وتجديده

إجابة للدعوة الكريمة الموجهة من حضرة صاحب الجلالة الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية لحضور الاحتفال بافتتاح المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتهيئته لاستقبال وفود المسلمين من أقطار الدنيا ، سافر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر على رأس وفد دينى مؤلف من صاحبى الفضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية ، والشيخ محمد توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة الإسلامية المساعد ، لتمثيل مصر والأزهر فى هذه المناسبة الجليلة ... وقد أقيم الاحتفال فى جو من الروعة والفخامة يليق بهذه المناسبة الكريمة ، وذلك فى يوم السبت ٥ من ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ، فى سرادق عظيم بجوار المسجد النبوى الشريف برئاسة حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ، وبحضور الأمراء والوزراء وكبار العلماء من شبه الجزيرة العربية ومن الأقطار الإسلامية الأخرى وكبار الشخصيات بالمملكة والسفراء ورجال التمثيل السياسى .

وفيما يلى نص كلمة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر التى ألقيت فى هـــذا الاحتفال العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمـــد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فهذه أيام عظيمة مباركة ، تحمل الينا ذكرى مجيدة طيبة ، هى من أعز ذكريات الإسلام : ذكرى مولد خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وهذه هى المدينة المطهرة ، مهاجر النبى الكريم ﷺ ، قد كانت مركز الدعوة الحق ، ومناراً للهدى والرشاد ، ومبعثاً للقوة الخارقة الرائعة ، التى قضت على البغى والجهل والفساد ، ونشرت على العالم لواء العدل والعلم والأمن والسلام .

مكتبتنا العربية

وهذا هو المسجد النبوى الشريف ، الذى أنشأه الرسول بنفسه ، وعمل فيه بيده ، كان يحمل فيه مع العمال الطوب والأحجار ، وينشد ، وينشد معه أولئك المؤمنون الأخيار :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

فى هذا اليوم المجيد ، وفى هذه البقعة الطيبة من المدينة النبوية المباركة ، يشرفنى ، ويشرف هذه البعوث الوافدة من مختلف بلاد الإسلام ، أن نشهد هذا الحفل الميمون ، تلبية لدعوة كريمة ، من ملك كريم ، وابتهاجاً بعمارة هذا المسجد العظيم ، الذى هو أحد المساجد الثلاثة ، التى لا تشد الرحال إلا إليها .

هذه العمارة الجديدة ، قد أرسى جلالة الملك سعود قواعدها ، وأحكم بنيانها ، ووسع رحابها وأرجاءها ، فجاء بها هذا المسجد العظيم ، آية من آيات العزة الدينية ، وعلما على القوة الإسلامية ، وشاهداً راتعاً قوياً ، على ما امتاز به هذا الملك المؤمن الغيور ، من عزيمة قوية نفاذة . فى العمل لرفعة شأن الإسلام ، وعزة المسلمين .

إن عمارة المساجد وإصلاحها وتجديدها ، لشرف عظيم ، كان يتنافس فيه السابقون الأولون ، وكان يسير على نهجهم فيه من تبعهم بإحسان من ولاة المسلمين ، يرون فى هذا العمل المجيد إعلاء لكلمة الله ، وإبقاء لذكره ، ونشرا لدعوة الحق ، وجمعا لعباده المؤمنين على البر والتقوى ، والهدى والصلاح .

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

أما هذا المسجد النبوى الشريف ، فإن الإقبال عليه والعناية بأمره ، وإصلاحه وتجديده وعمارته ، لمن أعظم ما يرجوه المسلمون ويتطلعون إليه : شعوبهم وقادتهم وحكامهم ، وهو من أقوى الدلائل على الاعتزاز بالمبادىء الاسلامية السامية ، وبحامل لوائها ، وهادى الناس إلى صراطها ، والقدوة العظمى ، فى قوة النفس ، وكمال الخلق ، والإيمان ، والثبات على الحق ، والمضى فيه ، والجهاد فى سبيله .

فبمثل هذا العمل المجيد الذى قام به هذا الملك العربى العظيم ، وبالجهود التى تبذل دائما لنشر الدعوة الاسلامية ، وتجلية حقائقها ، والدفاع عنها ، وعن مراكزها ومواطنها ، تتجدد عزائم المسلمين ، وتسمو هممهم ، وينتبه غافلهم ، وتقوى جماعتهم ، وتحيا فى نفوسهم سيرة النبي

مكتبتنا العربية

الأكرم ، الذى هو مثلنا الأعلى ، وقدوتنا العظمى ، وتتجلى مآثره وفضائله ، وما حققه للمسلمين من خير وعزة وكرامة .

لهذا المعنى الجليل ، عنى المسلمون بأمر هذا المسجد منذ الصدر الأول ، فجدد بناءه وزاد فيه عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، واقتدى بهما فى هذا الفضل والشرف عمر بن عبد العزيز ، فى عهد الوليد بن عبد الملك ، فقام فيه بعمارة عظيمة ، وأدخل فيه زيادات كبيرة . واستمر يتنافس فى تجديده المتنافسون ، ويتسابق فى تعهده ورعايته ، المصلحون من ملوك المسلمين ، إلى أن جاء هذا الملك الكريم ، فواصل مابدأ فى عهد جلالة والده الراحل العظيم ، حتى أتم هذه المأثرة الجليلة ، التى أضفت على هذا المسجد الشريف ، من البهاء والروعة ، ما يليق بمكانته ، ويتناسب مع ما حبا الله به الملك من همة فى جلائل الأمور ، وقوة فى الحق ، ونفاذ فى البصيرة ، وحب لأعمال الخير والبر ، وغيرة على الإسلام .

« وبعد ، فإنها لسعادة كبرى ، أن نحظى فى هذه المناسبة المجيدة ، بزيارة هذه الأرض المقدسة خير بقاع الدنيا ، فنشهد بها مطلع هذا النور الإلهى الذى انبثق من « أم القرى » يشق طريقه إلى العالم ، يبدد ما فيه من ظلمات ، وينقذ الناس مما ارتكسوا فيه من فتن ومحن ، وآثام وشهوات .

وقد ربط الله بهذه الأرض الطاهرة المقدسة جميع أقطار الدنيا ، وجعلها مركز العالم الإسلامى كله ، تهوى إليها الأفئدة ، وتصبو النفوس ، وتتجه الأبصار والبصائر ، وناط بها ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما الصلاة والحج ، فالمسلمون مهما تباعدت ديارهم ، واختلفت ألسنتهم وألوانهم ، يولون وجوههم كل يوم فى صلاتهم شطر الكعبة : والمسلمون مهما شط مزارهم ، وشقت أسفارهم ، يقطعون المسافات ، ويجوبون المخاوف ، آمين البيت الحرام ، وفوداً فى كل عام ، ليتعارفوا فى حماه ، ويتواصوا بالحق والخير فى رحابه ، ثم ليقضوا تفثهم ، ويوفوا نذورهم ، ويطوفوا بالبيت العتيق .

أسأل الله العلى القدير الذى وفق هذا الملك العظيم إلى هذا العمل الجليل فى المسجد النبوى الشريف أن يوفقه إلى تنفيذ ما انتواه فى المسجد الحرام ، وأن يديم على هذه البلاد أمنها ورخاءها ، ويجمع قلوب المسلمين على ما فيه خيرهم وصلاحهم ورشادهم ، وأن يعز الإسلام ويعلى كلمته ، ويحفظ لشبه الجزيرة العربية راعيها وقائدها ، ويجعل عهده عهد يمن وسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

مكتبتنا العربية

تقـــرير

ترى هيئة التدريس فى كلية اللغة العربية أن تتقدم بهذا التقرير

إلى السيد الرئيس قائد نهضة مصر

ليدرأوا عن الأزهر بعض ما يثار فى وجهه من غبار ، وليرسموا له صورة صادقة بمناسبة ما يدور حوله من آراء تنشرها الصحف ، ويتناقلها الناس .

وما كان أغنى الأزهر عن أن يدفع عنه المدافعون ، لولا أن بعض ذوى الخطر القديم يخوضون فى حديثه خوض متحامل ، فظلموه بهذا الخوض ظلما فادحا لا ينبغى أن يجازى به معهد له مثل حاضره وماضيه .

وأى ظلم للأزهر أفدح من أن ينادى المنادون بإفنائه فى سواه ، والتعفية على آثاره ؟ فيطوى بذلك كتاب ضخم ، كم سجل بسببه التاريخ لمصر ، وما زال يسجل ، روائع من آيات المجـــد الأثيل ؟ !

أيها السيد الرئيس :

إن إنصاف الحقيقة يقتضينا أن نضع ماضى الأزهر وحاضره فى الميزان لعلنا نهتدى فيهما إلى ما يشفع له بالبقاء ، أو ما يستحق بسببه الفناء .

أما الماضى فهو عريق عراقة التاريخ النبيل ، وإن جذوره لتتعمق فى الأصالة والعتق أكثر من ألف عام ، ولا غرو فالأزهر أقدم جامعات العالم باطلاق ، وهو أصل معهد قام على خدمة الإسلام ومعارفه بروح علمية صادقة ، لا تعرف الضيق ولا الجمود ولا تتخلف عن ركب الحياة ، وهو الذى ثبت من دون معاهد الأقطار الإسلامية لأعاصير الزمن ، حتى استحال فى نظر المسلمين إلى فكرة ، معناها القيام والحفاظ على العلوم الدينية والعربية ، فاكتسب لمصر بذلك منزلة الصدارة ، وأحلها المقام المحمود فى العالم الإسلامى ، إذ ربطت شعوبه هواها بالأزهر ، واتجهت بأفئدتها إليه ، وأولت وطنه مصر زعامتها منذ قديم .

مكتبتنا العربية

أيها السيد الرئيس :

لو أن هذا الذى تحدثنا به عن الأزهر كان عارضا فى تاريخه مضى وانقضى ، ما كان لنا أن نعتد به ، ولا أن ندخله لنا فى حساب ، فما نحن ممن يتعوضون عن فراغ الحاضر وفقره بامتلاء الماضى وغناه ، ولكنه والحمد لله ماض موصول بحاضر ، وحاضر ممتد إلى ما شاء الله من مستقبل زاهر بفضل الرئيس الحريص على مجد مصر أن يتولاه الدثور . فما قعد الأزهر يوما ما ولا تخلى عن أداء مهمته الأولى ، ولقد تطورت مناهجه مرة بعد مرة متابعة تطور الحياة وما يجد فيها من مظاهر تطلب التجدد ، ولكنه كان دائما حريصا على صبغته التى فطره الله عليها ، وهى العناية كل العناية بعلوم اللغة والدين ، وبذلك لم يقصر فى الوفاء بواجبه الأصيل ، ولم يتخلف عن تحقيق رغبة المسلمين وما ناطوه به من آمال ، فلم تتغير نظرتهم إليه ، ولم تتزعزع عقيدتهم فيه .

وآية ذلك تلك البعوث التى تتوافد إليه فى كل عام من كل أرجاء الأرض ومن كل أجناس الخلق ، حيث تنثال عليه تلك الوفود أفواجا أفواجا تتزود من ثقافته ، وترتوى من مناهل علمه .

ثم هذه الدول التى تستمد مددها دائما منه ، وتلتمس العون الثقافى من المتخرجين فيه ، وتتزايد حاجتها إليهم عاما بعد عام . ثم هذه المنزلة التى لا تضارعها منزلة ، فإنه يحتل ويحتل به مصر أسمى المنازل من قلوب المسلمين فى كل رجا وقطر .

وما نحتاج فى إثبات ذلك إلى شىء أصدق من شهادة السيد الرئيس وصحبه الأبرار . فقد أتاح لهم اشتراكهم فى المؤتمرات الدولية ، وارتحالهم فى مشارق الأرض ، واتصالهم بالوافدين من أهل الأقطار القريبة والبعيدة ، أتاح لهم ذلك أن يلمسوا عن قرب صدق ما نقول وأكثر مما نقول .

أيها السيد الرئيس :

هذا طرف يعرفه الناس من ماضى الأزهر وحاضره فى الميدان الخارجى ، وسندع لسيادتكم تقديره ، فأولو الأمر فى الأمم والقائمون على سياسة الدول ، هم أعرف الناس بقيمة هذه الأمور ، ندع ذلك ونبحث : فلعلنا أن نجد فى ماضى الأزهر وحاضره بالميدان الداخلى فى البلاد أشباها لهذه المفاخر .

مكتبتنا العربية

ولن نذهب إلى الماضى البعيد ، فحسبنا أن نشير إلى ما لم ينسه الناس ، وما لن يستطيعوا نسيانه ما دام للتاريخ رواة .

وهل يخفى على أحد أن عمد النهضة المصرية فى كل ناحية من نواحيها ، إنما استمدت أول ما استمدت من الأزهر ؟ .

إننا لا نتمثل بالنجوم اللامعة من أبنائه الذين أجرى الله على أيديهم لمصر كثيراً من الخير ، من أمثال عمر مكرم ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، ولكننا نشير إلى الرعيل الأول من أقران رفاعة الطهطاوى ومن جاءوا على أعقابهم من شباب الأزهر الذين بعثتهم مصر إلى أوربا ليقبسوا لها أقباساً من العلم الجديد ، ثم عادوا ليمهدوا الطريق ويضعوا على جوانبه المناور والأعلام .

وما لنا ولذاك ، إننا فى حاضرنا هذا نمد جهاز الدولة بأعضاء عاملين ، يتغلغلون فى كل ناحية ويؤدون أعمالا لا غنى للمجتمع عنها ، ولن نزوق فى العبارة ، وإنما نتبع طريق العد والإحصاء ، وندع للحقائق السافرة النطق والبيان .

١ — فالأزهر أهم مورد تستمد منه مدرسة المحصلين والصيارف حاجتها من الطلاب الذين لا يتخصصون فيها أكثر من عام ، وتشهد بذلك وزارة المالية .

٢ — والأزهر دون سواه هو الذى يمد الدولة بحاجتها من الموثقين وقضاة الأحوال الشخصية كما تعرف ذلك وزارة العدل .

٣ — والأزهر هو المورد الأوحد لسد حاجة الدولة من الأئمة والخطباء والوعاظ والمرشدين كما تعلم وزارتا الأوقاف والداخلية .

٤ — والأزهر يسهم بسهم وافر فى إعداد معلم المرحلة الأولى .

٥ — والأزهر هو أغزر منبع يتكون فيه معلم اللغة العربية والدين فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، وسواء تولى أمره الأزهر من مبدئه إلى منتهاه ، أو حملت عنه بعض العبء كلية دار العلوم ، فإنها تستمد طلابها من الأزهر .

أيها السيد الرئيس :

لعل من حقنا الآن أن نجاهر مطمئنين بأن الأزهر ضرورة لا بد منها لمصر :

فهو ضرورة تاريخية يحتمها امتداد تاريخ مجيد كتب الله له أن يمتد ما بقى دينه ، وقرآنه ، ولغة قرآنه .

وضرورة سياسية تقضى بها وتؤكدها وشائج القربى والاسباب القوية التى تربط مصر بسائر الشعوب الإسلامية ، وتنزلها منها منازل حبات القلوب .

وضرورة اجتماعية تتطلبها الحياة الحاضرة ، حيث يقدم لها الأزهر كثيراً من الأيدى القوية النظيفة ، التى تعمل فى دءوب وسكون مع غيرها من أيدى العاملين المخلصين .

إن لنا أن نجاهر بذلك ، لعله يعيد إلى الصواب أولئك المتجنين على الأزهر ، أولئك الذين لا يخشون فى تجنيهم عليه لومة الحق ، فيظلمونه فى ماضيه وحاضره ، ويهتفون بالقضاء عليه وطى صحيفته من سجل المجد والخلود .

وأى حجة لهؤلاء المتحاملين على الأزهر فى ترويج ما يروجون ؟ .

أهى اعتزال الأزهر ، ونأيه بعيداً عن الحياة ، مضروبا بينه وبينها بالحجب الصفاق من ثقافته كما يدعون ؟ .

لقد يصدقون فى ذلك لو كان فى مواد هذه الثقافة ما يكون من طبيعته الجمود وتصوير الحياة بالحجب الصفاق ، ولا فيصل فى ذلك إلا اطلاع الناس على برامج هذه الثقافة ، وهى من المطبوعات العامة للدولة ، ويستطيع أن يراجعها كل من أراد .

وحينئذ سيجد الناس انها حيوية لسبب معقول ، وهو أن مثلها فى غير الأزهر لم يرم بالجمود من أحد من الناس ، وسيعلم من كان لا يعلم أن طالب الأزهر لا يفوته شىء مما تأخذ به وزارة التربية والتعليم تلاميذها إلا شدة الاحتفال باللغات الأجنبية ، وأن الأزهر يهيئ لطلابه بديلا من ذلك مزيداً من العناية باللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وذلك أمر تقتضيه طبيعة التوجيه وإعداد الطلاب للتخصص العلمى .

واللغة العربية هى اللغة القومية ، والإسلام هو دين أهل البلاد ، ولغة أى قوم ودينهم هما من صميم حياة هؤلاء القوم ، فكيف يكون جامداً معتزل الحياة من يعنى بهما إلا أن يكون الاشتغال بجانب من الحياة حجابا صفيقا يفصل المرء عن الحياة ؟ ! .

مكتبتنا العربية

ونقولها مرة أخرى : قد يصدقون لو لم يكن ما قدمناه فى قائمة حساب الأزهر ناطقاً بالحق منادياً بأعلى الصوت أنه قطعة من الحياة ، وهى قائمة تتألف تفاريقها وجملها من حقائق الواقع ، وإلا فكيف يستطيع أبناؤه بعد خروجهم من كهف العزلة أن يدلفوا إلى المجتمع وأن يزاولوا ما يزاولون فيه من أعمال ، ما لم تؤهلهم ثقافتهم لها ، وتسلحهم بأسلحة النجاح فيها ؟ .

أم أنها هى فكرة التوحيد بين أبناء الأمة فيما يلقى إليهم من برامج التربية والتعليم ؟ .

إنها فكرة جميلة ، ولكنها فى مقامنا هذا رواء لا مخبر له ، بل هى حق يراد به الباطل .

وتوضيح ذلك سهل قريب ، ففى قانون الأزهر مادة تشترط فيمن يريد اللحاق بالسنة الأولى من قسمه الابتدائى ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة ، ومعنى ذلك أن الأزهر لا يتلقى الطالب إلا بعد أن يتخطى حدود المرحلة الأولى وشطرا كبيراً من عمر المرحلة الاعدادية ، لسبب اقتضى ذلك ، وهو اشتراطه للالتحاق به حفظ القرآن الكريم ، وما يقول أحد بأن توحيد البرامج والمناهج العلمية توحيداً كاملا بعد هذه الفترة أمر تحتمه الحياة العاملة المتنوعة المطالب والغايات ، بل إنها تحتم التنويع والتفريع وفقاً لنظرية التخصص وهى أعرق وأصدق قاعدة فى قواعد الاجتماع .

وهذه وزارة التربية تنوع برامجها مرة بعد المرحلة الأولى ومرة أخرى بعد المرحلة الاعدادية ، وتفنن التعليم إلى مدارس معلمين أولية ، وصناعية ، وزراعية ، وتجارية ، وثانوية ، وما ذاك إلا توجيه إلى التخصص المهنى أو العلمى ، حسب ما تقتضى الحياة .

ومعاهد الأزهر - قياسا على ذلك - طريق من طرق التوجيه تعد طلابها إعداداً يتسق مع ما ينتظرهم فى الكليات من مناهج خاصة بتخريج المعلم الكامل للعلوم الدينية والعربية .

وما نفتئت أن يخالفنا أحد فى أن مثل هذا المعلم ينبغى أن يعد إعداداً خاصاً يؤهله تأهيلا كاملا لعمله ، ولا فى أن المنهج العام فى التعليم الثانوى لا يصلح أن يكون توجيها وتمهيداً لنوع الثقافة اللغوية والدينية الشاملة التى ينبغى أن يؤخذ بها مثل هذا المعلم ، وإلا فإننا نحتكم إلى السيد الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٠ وما قبلها فنسأله : فيم كان عناؤه ومحاولته أن يجذب إلى قسم اللغة العربية هناك شبابا من شباب الأزهر ؟ وأى معنى كان يقصده من ذلك غير ما كان يراه ويصرح به من أن هذا القسم لا يؤتى ثمره ولا يصل إلى ما يريده له من آمال حسان إلا بشباب تثقفوا بثقاف أزهرى ؟ .

مكتبتنا العربية

ثم نسأله - وقد تتلذ له فريقان أزهرى ومدنى - أيهما كان أهلا لأن يصل به إلى أمله من هذا القسم بعد أن ينحى عن حكمه النادين الأفذاذ ؟!

ولكن أين نحن الآن من السيد الدكتور الذى كان أستاذا للأدب فى سنة ١٩٣٠ وماقبلها ؟ وأين نجده لنطالب حكومته فيما نتنازع عليه نحن والمعاندون ، ونسأله فيعطينا الجواب الصواب؟

لقد جنى على الرجل اشتغاله بالسياسة فتغير ، ولم يبق من ماضيه إلا طائفة من الذكريات وهى فيما نعتقد طائفة تصلح للفصل فيما بيننا وبينه ، وتستطيع أن تدفع فى وجه مغالطاته بهذا المقام . وبعض هـــذه الذكريات ما زال ماثلا على التحقيق فى أذهان تلاميذه من الأزهريين الذين اقتحم بهم أسوار الجامعة المصرية فيما مضى ، سعيا منه فى سبيل النهوض بقسم اللغة العربية ، ودعما لهذا القسم بأصلح العناصر فى رأيه آنذاك .

ولعل بعض هـذه الذكريات أن يكون مسجلا فى سجل مجلس الجامعة منذ استصدر الدكتور منه ترخيصا يفتح لهؤلاء الأزهريين ما كان مغلقا دونهم من أبواب .

وقد يكون بعضها باقيا غافيا فى نفس الدكتور طه حسين الذى يسعى الآن بين الناس ، وينقض من رأيه ما أبرم ، ويحاول القضاء على الثقافة الأزهرية بدعوى الإصلاح .

وما كان لهـذه الذكريات أن تغفو فى نفسه أو تنام ، لو أنه بقى إلى الآن فى مقامه الأول يزاول من شئون الطلاب ما كان يزاول عن قرب ، ويعنيه من أمر قسم اللغة العربية ما كان يعنيه .

ولكنه الآن رجل آخر غير الذى كان ، إنه رجل ينازل فى ميادين الإصلاح بأساليب السياسيين المتحزبين ، فقد أساء إليه اندماجه فيهم وأعدته طباعهم ، حتى نسى أن الوصول إلى الحق غاية ما يبتغى المتجادلون ، وامتهن سلطان ضميره العلمى فآثر أن تكون المغالبة هدفه ومقصده ، واتخذ من المغالطة سلما يرتقى فيه إلى الغلبة على أنقاض الحق ، وصار بحيث لا يحجزه من خلق العلماء حجاز عن تسفيه الناس جزافا ، وثلبهم طوائف وجماعات .

وهل أثم شيوخ الأزهر عنده ، حتى لا يجد فى نفسه حرجا من أن يتهمهم جملة بسوء التعلم ، وأن يرميهم بالثواء الفهم ، وشذوذ التفكير ؟! .

إنهم لم يصنعوا شيئا أكثر من أن رأوا رجلا يموه بالباطل ويلبس على الناس ، فنفر له نفر قليل منهم يجادلونه بالتى هى أحسن ، ويطلعون الناس من رأيه على مواطن الضعف ،

مكتبتنا العربية

ويبصرونهم فى أمرهم طريق الرشد ، دون أن تنطوى نفوسهم على نية السوء له أو النيل منه اللهم إلا أن يحسب فى ذلك ما يكون من هفوة الرجل يخونه التوفيق ، ويخطئه حسن التعبير .

لقد كان جديرا بصاحبنا ألا يحفظه ويثير ثائره نيل يناله فى ذاته — إن صح أنه نيل يمكروه — فذلك أولى له ولأمثاله ممن يدعون الإصلاح ، ويتخيلون لأنفسهم موقف البطولة فى ساحته فيتخذون سمت المصلحين ، وإلا فكيف يصدق الناس رجلا تعرى من أناة صاحب الحق ، لأن يده صفر من الحق ، أو كيف يقبلون الرأى ممن يثور لنفسه فينأى عن الهدى ، وينأى عن العدل ، ويجمح به هواه ، فيسفه على قوم لم يسوه بسوء ، ويفتئت عليهم ما شاءت له المفتريات ، وما أكثرها من مفتريات ، وما أفضحها !!

وإنها لفرية صارخة ما يزعمه الدكتور طه حسين من أن الأزهريين لا يفرقون بين ذواتهم وبين الدين ، ولا بين الأزهر الشريف نفسه وبين الدين كما يقول ، فما ادعوا لأنفسهم ولا لمعهدهم عصمة دينية ولا الدين الذى يدينون به يرضى لأحد أن يدعى لنفسه العصمة .

ولكنهم يؤكدون ، وحق ما يؤكدون ، أنهم أوفى طوائف المثقفين من المسلمين نصيبا من الثقافة الدينية .

ويؤكدون وحق ما يؤكدون أن معهدهم أعرق معاهد الدين عند المسلمين ، وأعلاها مقاما فى نفوسهم ، وأشدها ربطا بين قلوبهم ، وألزمها للقدر المشترك من حياتهم ، وأوسعها إحاطة بمعارفهم الدينية واللسانية وأسرعها تجاوبا مع الحياة وقبولا للمفيد من كل جديد .

وإذا قال قائل من الأزهريين إن معهدهم يدرس لطلابه كذا وكذا من العلوم ، فإنه لا يجازف بذلك ، ولا يدعى أن كل طالب أزهرى يستوعب كل هذه العلوم كما يزعم الدكتور طه حسين ، ولكنه بصدد أن ينفى عن الأزهر فرية البعد ببرامجه عن الحياة ، فسبيله إذن سبيل من يسرد ويعد جملة العلوم التى تقوم عليها برامج الأزهر ، والتى يدرسها جملة الطلاب ، ومقام الجدل وحده كاف لأن يفهم المتتبعون لسير المناقشة أن البرامج توزع هذه العلوم أنواعا ومقادير على مراحل التعليم وشعبه المختلفة ، كما توزع جملة العلوم التى تتولى أمرها وزارة التربية على أنواع وفروع مختلفة من التعليم ، وعلى طبقات

مكتبتنا العربية

متفاوتة من المتعلمين ، وذلك ماتصنعه كل جهة تعليمية فى العالم ، وهو لايغيب عن فطنة وزير المعارف الأسبق .

هذا هو الوضع إذا قيل هذا القول ، ولكن كيف يفترس الذئب الحمل إذا لم تلصق به تهمة تعكير الماء وإن كان ينزل من دونه ناحية المصب ؟! وكيف يستقيم الأمر للدكتور طه حسين فيما يبتغى من إيذاء الأزهريين ؟! . لابد أن يتقول عليهم ما لم يقولوه ، ولابد أن يلفق لهم كما يلفق أهل الريف فيضع فى نفوسهم معانى لم يقصدوها ، ولا يحتملها مقام الجدل ، حتى يستطيع أدبه العظيم أن يسخر منهم ، ويتهكم بهم ، ويجعلهم دوائر معارف تتحرك ، فتغدو وتروح ، وتذهب وتجىء .

وإذا قال قائل منهم ذلك ، فإنه لايقصد أن طلاب الأزهر يتلقون هذه العلوم المختلفة تلقى المتخصصين كما يحاول اختلاقه عليهم الدكتور طه حسين ، ولكنهم يتلقون منها بقدر ، لايحيف على أساس الطابع الأزهرى ، ويصل الطالب بباقى جوانب الحياة .

وإذن ، فلا وجه لنكتة الصيف التى استروح بها الدكتور طه حسين عندما اقترح ساخراً أن تلغى الحكومة جامعاتها ومدارسها ومعاهدها على اختلافها مستغنية عن ذلك كله بالأزهر ، لا وجه للنكتة ، ولا طاقة للناس بحرها ، وذلك لأن ما فى الأزهر منهج تعليمى خاص ، يتطلبه جانب مهم من جوانب الحياة المصرية وهو جانب اللغة والعقيدة ، ويتطلبه كذلك مقام مصر بين جاراتها وشقيقاتها من الدول العربية والإسلامية ، وهو منهج لا يغنى عنه سواه فى معناه ، كما لا يغنى هو عن غيره من مناهج أخرى تطلبها بقية جوانب الحياة ، اللهم إلا أن يستطيع وزير المعارف الأسبق أن يستغنى بالتعليم الصيدلى مثلا عن التعليم الطبى ، أو الهندسى ، أو الزراعى ، أو القانونى ، أو التجارى ، أو الصناعى إلى آخر ما يعرف سيادته من ألوان التعليم .

* * *

وليس صحيحاً كذلك أن الدولة لا تشرف على الأزهر كما يزعم الدكتور طه حسين ، وذلك لأمر تعلمه الدولة نفسها ، ويعلمه كل من تقله أرض الدولة ، وتظله سماؤها ، فالحكومة هى التى تعين من توليهم شئون الأزهر ، وهى التى تمنحهم سلطان إدارته ، وتعيين من يساعدهم فى تلك الإدارة ، تماما كالذى يعمله كل وزير ، وكل من يشرف على

مكتبتنا العربية

عمل من أعمال هذا البلد ، وإذا كانت الصبغة الغالبة على القائمين بأمر الازهر هى الصبغة الازهرية الخاصة ، فما ذاك إلا لما تقتضيه طبيعة البرامج والمناهج الثقافية فيه ، كما يقضى الوضع الصحيح أن يكثر ويغلب الزراعيون فى محيط التعليم الزراعى ، والاطباء فى كلية الطب ، والمهندسون فى الهندسة ، والقانونيون فى الحقوق .

وفوق هذا فإن الدولة تمد الازهر بمدرسى وأساتذة العلوم والآداب ، وهى بعد ذلك تقر تعيين جماعة من كبار هؤلاء للإشراف على أعمالهم وتقدير ما يؤدون .

ومع ذلك فالازهريون مصريون وليسوا جالية أجنبية تزحم أبناء الوطن وتضيق عليهم جوانب الحياة حتى يستصرخ الدكتور طه حسين الحكومة ويستعديها عليهم ، ويطالبها باجلائهم عن مراكزهم .

* * *

وصحيح أن فى الارض بلادا إسلامية أخرى ليس فيها الازهر ، ولكنها فيما يتعلق بحفظ القرآن وما يتصل بعلوم الدين ليست على ما يتوهم الدكتور طه حسين أو ما يحاول عامداً أن يوقعه فى أوهام الناس ، ومصداق ذلك هذه البعوث التى تجىء من الطلاب والبعوث التى تذهب من العلماء .

وقد يكون الصواب أن نترك الفصل بيننا وبين الدكتور فى ذلك لابناء هذه البلاد ، فإنهم من غير شك أعرف منا ومنه بما يكون بين مصر وبلادهم من تقارب أو تباعد فيما يتصل بشئون القرآن وعلوم الدين .

ولكن ذلك لا يعفينا من أن نعطفه على ظاهرة يغشاها أو يتناساها ، ولعلها كانت أولى الظواهر بأن يشغل باله وهو عميد الأدب العربى فى مصر وسائر الاقطار .

تلك هى ما يتفق عليه النقاد من أن مصر أثبت أخواتها قدما فى العلوم العربية وأرفعها مقاما فى الفنون الأدبية ، نعطف الدكتور على هذه الظاهرة ونسأله : هل كان ذلك لمصر إلا لأن من يعلمون ناشئة البلاد ولغتهم وأدبهم أتم استعدادا من نظرائهم فى غير مصر ؟ .

مكتبتنا العربية

وهل تم استعدادهم وفاق إلا بفضل الثقافة الواسعة التى تتاح فى الأزهر لهؤلاء المعلمين ؟.

هذه مقدمات ونتائجها ، ولا يستطيع الدكتور نكرانها إلا إذا صدق ما أشاعته الصحف عنه منذ قريب ، من أنه حكم بانتقال الزعامة الأدبية من القاهرة إلى بيروت ، ومن مصر إلى لبنان .

بمثل هذه المفتريات يهجم الدكتور طه حسين على شيوخ الأزهر ، ويقذفهم بأنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ألا إنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، بل إنهم ليتعلمون كما ينبغى أن يتعلم الناس ، بل إنهم ليعلمون الناس ، يعلمون أكثر من عشرين مليونا فى مصر وما لا ندرى إحصاءه فى غير مصر ، يعلمونهم ما لا تقوم الحياة إلا به من أمور اللغة والدين .

* * *

وبمثل هذه الأباطيل يريد الدكتور طه حسين أن ينتقم لضغن قديم ، ويحاول أن يهدم بنياناً بناه التاريخ المجيد ، بما يموه على الناس من خدع .

ويالها من خدع سوافر تمشى بلا استحياء .

* * *

والله الذى أنقذ آمال مصر وأمانيها من ثرثرة السياسيين ومغالبتهم بالضلال ، قادر على أن يحمى مجد مصر وتراثها الخالد من غرور الأدباء وتعاليهم على الناس بسحر البيان .

والله أكبر والعزة لمصر .

عن هيئة التدريس
فى كلية اللغة العربية
شيخ الكلية
محمد محيى الدين

مكتبتنا العربية

صيحة الشعر :

حـــديث السماء

« إن القرآن الكريم يدعو إلى الوحدة لا إلى التعدد ، وإن إبقاء القرآن على التعدد »
« لم يكن إلا خضوعاً لظروف اجتماعية تتطلبها البيئة العربية فى ذلك الحين » .

« من مقال للدكتور محمد خلف الله »

« سأعلم أولادى احتراف اللصوصية ، وبناتى احتراف الدعارة » .

« عن مجلة الحياة الجامعية »

« ولست أدرى كيف لم يقتل المسلمون الأول أئمة الإسلام ولكل منهم »
« مذهب يخالف من القاع سائر المـــذاهب والآراء ... الخ » .

« من مقال للدكتور إبراهيم عبده »

« إن الأزهر اليوم يدعو أبناءه أن يعدوا أنفسهم لمواجهة هذه »
« الفتن والقضاء على هذه المحن » .

« من حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر إلى أبنائه الطلاب »

* * *

« حـديث السماء ، ... وآياتها وفيض من النور والحكمة
« حـديث الليـالى ، وأصداؤها وهمس من الشرق والقبـــلة

* * *

نهيم على وجهنا فى الحيـاة ونمشى مع الدهر فى ظلمة !!
فمـا هى فى الدهـر .. آثارنا وماذا على الشط من ضجة ؟
وما فى « الجزائر » و « القبلتين » وما فى « فلسطين » من نكبة ؟
وما المسلمون .. إذا خالفوا وعاشوا على الضعف والرهبة ؟

مكتبتنا العربية

فألف بحقـــــــك آراءهم ... فإن السلامة فى الألفة
وحطم بدنياك تلك العقول . . ... فإما نعيش مع (الثورة)
وهشم بمعـــولك الخارجين ... على (الدين) والرأى (والملة)
فللناس حق على (شيخهم) ... و (للشيخ) حق على الدولة

* * *

لقد نشر الليل من همسه ... رواقاً على الشط والربوة
فما بعث الدهر من نومـــه ... وما أيقظ الفجر من ضجعة
فما الفلسفات ؟ وما شأنها ... وماذا وراء « الوجـودية » [1]
وماذا وراءك يا « سارتر » ... من الشر والهـزل والخيبة ؟
فكم حملت فوقها « سارتراً » ... وكم فى حياتك من دعـوة
فما خدعتهم « وجـــودية » ... وما أخـــذتهم على غرة

* * *

أطلت على الدهر فى الغابرين ... رءوس الضـــلالة والفتنة
وعاد « أبو خطـوة » للحيـاة ... وجاء الوجود على غفلة !!
فشارت فـلاسـفة المسلمين ... ونحن عن (الدين) فى عزلة
ومن خلفهم زمرة ثائرون ... فهل جاءكم نبأ « الزمرة » ؟
سكبنا الدموع على قبرهم ... وكم سكب الدهر من دمعة
فما « قصة الدين » عند « العميد » ... فقد دارت الأرض « بالقصة »
(فشدوا يديكم على « دينكم ») ... فقد شـدهـا الدهر بالقوة [2]
وخافوا على (الدين) من « خطوة » ... فإنى أخاف من « الخطوة » [3]
فهذا هـو الليل فى لهوه ... وهـذا هـو الشرق فى غفوة !!
تطـوف بمحـرابه الحـادثات ... وتجـرى على الأرض فى خفـة

---

[١] الوجودية : مذهب إباحى يقوم على العبث والهزل والفساد ، ومن أكبر دعاته [جان بول سارتر] .

[٢] من كلمة نائب الرئيس جمال عبد الناصر فى احتفال هيئة التحرير العليا بذكرى المولد النبوى الشريف .

[٣] « الخطوة الثانية » عنوان مقال للدكتور طه حسين . . يدعو فيه إلى توحيد التعليم وإلغاء التعليم الدينى وإلغاء تلك الجامعة الاسلامية التى يعتز بها المسلمون فى أقطار الأرض جميعها . .

مكتبتنا العربية

أخاف على (الدين) من شانئيه ... وأخشى عليه من الصبية ...
فقاتل بأمتك الخارجين ... وأطفئ بها لهب الفتنة ...
فحاضر لو رجع المسلمون ... إلى الرشد والحق والشرعة
وقامت لهم فى الورى دولة ... على (الدين) والعدل والرحمة

* * *

تموج « الفتاوى » على الشاطئين ... ويجرى المروق على الضفة ! !
نخذهم بما أخذ الأولون ... فقد ضاقت الأرض بالفتية
وضل سبيل الهدى « سارتر » ... وعاد إلى اللهو والفرقة ! !
فمالت عن الشرق تلك الشموس ... وسارت هواديه فى اللجة
فذاق على يد جلاده ... كئوس الندامة واللوعة ! !
وشابت من الهول [مراكش] ... ونام الزمان على جفوة
فما عاش شعب يريد الحياة ... إذا نام فيها على الذلة ؟

* * *

لقد هجر (الدار) أبناؤها ... وعاشوا هنالك فى الغربة
فهل رجعوا بعد هذا النوى ... وعادوا إليها من (الهجرة)
لقد فرقتهم يد الغاصبين ... فهل لأولئك من رجعة ؟
أقمت على (الدين) صرح الحياة ... وعلمت دهرك بالحكمة . .
فعلم بمحرابك المشرقين ... فكم لك فى العلم من آية
وأيقظ زمانك من نومه ... فإنا نسير إلى . . الهوة
إذا ذهب (الدين) فى أمة ... فقد ذهب الموت بالأمة
وعادت إلى نوحها النائحات ... وشيعها الليل باللعنة . .
طوينا مع الدهر أحلامنا ... وعدناه إلى اللهو والحسرة
وصاح الزمان على الضفتين ... فهب الوليد على الصيحة
فصافح على الشط (رتباله) ... وحى به (علم النهضة)
وهيء (بأزهرك) الناشئين ... وقوم زمانك بالحجة . .
نريد الحياة . . كما صاغها ... لنا صاحب الحول والقوة

صابر على رمضان الجوشنى

مكتبتنا العربية

ركن الطلبة :

الأزهر المفترى عليه

إذا كان من حق أى أمة من الأمم أن تفخر بدعوة من دعوات الاصلاح فيها ، فما أعظم شأن الأمة الإسلامية برسالتها ، تلك الرسالة التى جاءت لتهيئة الحياة الكريمة للإنسان ، وتحريره من رق الطغيان ، فى ظل العدالة الاجتماعية والفضل الإنسانى ، وقد مرت على هذه الشريعة قرون وأجيال وهى مشرقة بنورها فى نفوس المسلمين ، ومنتشرة بتعاليمها بين العالمين ، مع ما اعتراها من تيارات الإلحاد والزندقة فى عصـــور الضعف والانحلال . وظلت الشريعة تغالب الأعاصير بقوة روحها وسمو تعاليمها ، حتى ترحلت عن دار الخلافة فى الشام والعراق وتركيا ، وأخذت تعاليمها تتلاصق وتتجمع تبحث عن سكن لها يقيها الهزات والأراجيف . إلى أن قيض الله لها حصنها المكين فى الأزهر ، فأخذت تشع منه على الدنيا أنوارها الوضاءة ، لتهدى المستهدين وتنير مسالك الحياة للطالبين .

فعرفت الأمم الإسلامية قدر الأزهر كجامعة علمية ، تحافظ على تعاليم الدين ، وتخلد التراث العربى فى اللغة ، وعرفوا له قدره كحصن مكين يرد عن الدين الإسلامى عوادى الإلحاد والطغيان الفكرى ، وعرفوا له قدره كمعقل للوطنية الإسلامية التى تخرج الأبطال المجاهدين فى سبيل الله ، لإعلاء كلمة الحق ورفع منار الحرية ، فأرسلوا إليه وفودهم ليتهلوا من مناهله العذبة ما يقوى العزيمة على الجلد للكفاح ، وكانت مصر موطنه ومعقله فى مكانة سامية وزعامة قوية لمحافظتها عليه وإمداداتها له بمقومات الحياة ، لنشر رسالته مع مسايرته للتطور الفكرى على أساس المحافظة على طابعه العلمى فى البحث والمعرفة .

ولقد كان لهذا الطابع الذى تميز به الأزهر عن غيره من المعاهد العلمية الأخرى أثر قوى فى قلق المستعمر وخوفه على نفوذه فى الشرق العربى عامة وفى مصر خاصة ، بل أثره فى الأوطان الاسلامية التى ترسل بعثاتها إلى الأزهر ، فإن الدول المستعمرة تحارب الأمم الخاضعة لها فى رغباتها إذا ما حاولت إرسال بعثات علمية إلى الأزهر ، بينما هى تشجع توجيه تلك البعثات إلى الجامعات الأوربية ، ولقد قال زعيم المستعمرين كلمته التى وضعها فى قاموس الاستعمار : لا بقاء للاستعمار فى الشرق ما دام يوجد فيه ثلاثة أمور (الأزهر ،

مكتبتنا العربية

ومجتمع الجمعة الأسبوعية ، والقرآن) ولم تنس حكومة الثورة وهي فى جهادها الوطنى مكانة الأزهر فى مركزها السياسى كزعيمة للدول الشرقية ، فأخذت تهيء له أسباب رقيه وعظمته ، بينما نجد فريقا من الكتاب قد أطمعهم سعة الصدر فى الثوار الأحرار فقاموا بدعوتهم الآثمة للقضاء على الأزهر ، لينفسح لهم المجال لبث آرائهم المسمومة ومذاهبهم الإلحادية التى سمعنا عنها فى الجامعات الأخرى ، وكان الأزهر منها فى عافية . وهم فى عيشهم ومناظرتهم بعيدون عن حقيقة ما يقولون ، لأنهم لا يدركون نتيجة ما يقولون .

ولست محاولا فى كلمتى هذه أن أفند حججهم وآراءهم لأبطلها ، فهى من التفاهة والضعف بحيث يستطيع ذو البصر بالدين والعلم أن يهدمها وينقضها ، وإنما أريد أن أقول إن الأزهريين يتعلمون ما يحققون به معنى الإيمان فى نفوسهم ، ويفهمون على ضوء الدراسة العلمية فى أزهرهم حقيقة دينهم ، فيجلونها للناس مشرقة كالشمس ، ترسل الحياة للنفوس التى عاشت فى الظلام . فليطمئن هؤلاء الدعاة إلى أن حكومة الثورة أوسع منهم إدراكا لمعانى الإصلاح ، ويعلمون أن فى بقاء الأزهر بقاء للوحدة الإسلامية فى أمم الشرق ، بل بقاء الروح الدينية فى نفوس المسلمين فى أقطار العالم ، فليست فلسفة الإصلاح التى ينادى بها داعية الخطوة الثانية سوى ترجمة لمعانى الهدم والباطل ، إذ كيف يكون الاصلاح من رجل اجتمع فى قلبه كراهية الدين بهدم معقله ، وبغض الأزهر فى حقيقة رجاله ، وهل يتناسى حملة الرافعى عليه تحت راية القرآن حتى أودت به إلى المحاكمة التى ردت الحياة إلى عقله المجدب من الحق .

أين حملتكم يا هؤلاء على دعاة الوجودية فى الجامعات التى تعلمتم فيها ، وهل استنفدتم وسائل الجهاد فى جميع ميادين الحياة فلم يبق إلا الأزهر أتيتم تنادون بالقضاء عليه ؟ فلتسكن قلوبكم سكون الموت ، فإن الأزهر سيبقى فى الحياة ، لأن فى بقائه حياة للدين الإسلامى الذى يعتز به الثوار الأحرار ، وستبقى نظمه المستقلة لأن فى بقائها قوة للحياة العلمية فيه ، وإن الأزهريين فى ثقتهم بحكومتهم الحرة ليؤمنون إيمانا قويا فى عدالتهم بإحقاق الحق وإبطال الباطل ؟

فتحى محمد عطية طنطاوى
كلية اللغة العربية — شعبة التاريخ

مكتبتنا العربية

الفهـرس

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
٣٣٧	فتنة حول الأزهر	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٤٤	نفحات القرآن : هداية الله وفتنة الناس	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٣٤٨	السنة : الرحلة في طلب العلم	« طه محمد الساكت
٣٥٣	الأزهر والاستعمار	« علي العماري
٣٥٨	الأزهر والمجتمع	« أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
٣٦٤	رسالة الأزهر باقية	« عباس طه المحامي
٣٦٨	ما هكذا يا سعد !	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٣٧٨	يا ليت قومي يعلمون	« محمود النواوي
٣٨٣	توحيد التعليم	جبهة علماء الأزهر
٣٨٦	إنه مجد مصر والمسلمين	« عبد المنعم النمر
٣٩٣	خصوم الأزهر	« عبد اللطيف السبكي مدير المجلة
٣٩٦	الأزهر وثورة سنة ١٩١٩	« محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء
٤٠١	لمصلحة من ثار هذه الزوبعة ؟	هيئة التدريس بمعهد الاسكندرية الديني
٤٠٦	توحيد التعليم	« أبو الوفا المراغي
٤١٠	التجني على الأزهر	« محمد كامل الفقي المدرس بكلية اللغة العربية
٤١٤	القومية العربية ودور الأزهر في نهضتها	« زكريا البري المدرس بالأزهر
٤١٧	الدكتور طه حسين والأزهر الشريف	« أحمد نصار القومي
٤٢٠	الحساب من هذه الخطوة الثانية ؟	« علي محمد عامر المدرس بقسم البعوث الإسلامية
٤٢٤	رسالة الجامع الأزهر	« محمد الأمير
٤٢٧	العلوم الحديثة في الأزهر	« عبد العظيم أبو غنيمة مراقب العلوم المساعد
٤٣٠	حملة ظالمة	الدكتور محمد محفوظ الوكيل السابق لجامعة الإسكندرية
٤٣١	ما هي الخطوة الثالثة ؟	الأستاذ عبد القادر شيبة الحمد
٤٣٢	نشيد طلبة الأزهر	« محمد الأمير
٤٣٣	الأزهر الدين أولا	« أحمد حمزة وزير التموين الأسبق
٤٣٥	الأزهر أفضل جامعات الدنيا	« طه الزيني
٤٤٠	الأزهر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	« محمود فرج العقدة
٤٤٦	تمثيل مصر والأزهر في افتتاح المسجد النبوي الشريف	
٤٤٩	تقرير من هيئة التدريس بكلية اللغة العربية عن ماضي الأزهر وحاضره	
٤٥٩	حديث السماء	الأستاذ صابر علي رمضان الجوشني
٤٦٢	ركن الطلبة : الأزهر للفكري عليه	« فتحي محمد عطية